

مُعْجِزَةٌ

# القرآن

الشيخ  
محمد متولى الشعراوى



2930/1

للسف الثالث الإعدادى  
طبعة ١٩٩٨ / ١٩٩٩

قطاع  
شئون الكتب



جمهورية مصر العربية  
وزارة التربية والتعليم  
قطاع الكتب

# معبنقة الوقت

الشيخ محمد متولى الشعراوى  
للصف الثالث الإعدادى  
طبعة ١٩٩٨ / ١٩٩٩

## مقدمة

معجزة القرآن الكريم هي معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة ..  
والقرآن خاتم الكتب السماوية .. ليس له عصر معين في إعجازه  
ولا زمن محدد في تحديه للبشرية كلها .. وهو لم يأت ككتاب علم ..  
هذه حقيقة يجب أن نضعها في أذهاننا .. ولكنه في نفس الوقت جاء  
كمعجزة خالدة باقية .. ومن هنا فإن فيه إعجازا لكل العصور ..  
إعجازا لمن عاشوا قبلنا وإعجازا لعصرنا هذا وإعجازا لمن سيأتون  
بعدنا .. حتى تنتهي الدنيا وما فيها ..

والقرآن جاء لينذر من كان حيا .. ومن هنا فإنه موجه إلى  
الأحياء .. وتحديه هو بالنسبة لمن يقيمون على هذه الأرض .. وليس لمن  
انتقلوا منها إلى العالم الآخر .. فأولئك يرون عين اليقين .. ويعرفون  
الحق بعد مغادرتهم الدنيا ..

وتناول فضيلة الشيخ الشعراوي بعد ذلك .. لماذا نزل القرآن  
ككتاب جامع للبشرية كلها ؟ ولماذا كانت الكتب السماوية تنزل إلى  
أمة أو شعب لتعالج داء .. بينما القرآن عالج جميع مشاكل البشرية كلها ؟ ثم  
روى بالتفصيل كيف أن القرآن مزق حجب الغيب الثلاثة .. حجاب  
الزمن الماضي .. وحجاب الحاضر .. وحجاب المستقبل .. بل أنه دخل  
إلى أعماق النفس البشرية .. ليظهر ما يحبه الإنسان .. ولا يوح به ..

ولا يعلمه إلا الله .. ومزق القرآن بعد ذلك حجب المستقبل القريب  
والبعيد .. فأنبأ عن أشياء لم يكن العقل يعتقد أنها ستحدث .. أو أنها  
يمكن أن تحدث .. وتنبأ بنتائج حروب ومصائر شعوب .. وقال لنا  
إن الأرض كروية .. وكشف لنا علم الأجنة قبل أن يعرفه العالم ..  
وتحدى البشرية .. أن تخلق ذبابة واحدة .. وكشف عما هو أصغر  
من الذرة .. ونلاحظ أن كلمة أصغر معناها منتهى الدقة في صغر  
الحجم .. لأن هناك صغيراً وأصغر .. وقال : « وما تحت الثرى »  
مشيراً إلى أن هناك ثروات هائلة في باطن الأرض .. ثم أنبأنا عن  
معجزة الخلق .. وكيف تم .. وأهان لنا أشياء وصلنا إليها بالعلم  
الأرضي .. وأشياء لم نصل إليها حتى الآن .. كل ذلك أوضحه  
فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى في أسلوب سهل جميل ..  
وبطريقة مفهومة لكل إنسان ..

والحقيقة أن هذا الكتاب يعتبر تفسيراً علمياً هاماً وعميقاً لبعض  
معجزات القرآن .. وهو تفسير لم يتناوله أحد من الأئمة حتى الآن  
بهذه الصورة .. ولم يقدمه بهذا الأسلوب السهل الممتع .. وهو  
يضيف إلى المكتبة القرآنية .. مكتبة التفسير إضافات هامة يعثر بها  
كل مسلم ..

2930/1

## الفصل الأول معجزة القرآن

مقدمة :

هل يستطيع محمد عليه السلام أن يتبأ نتيجة معركة حربية ستحدث بعد سبع أو ثمانى سنين ؟ ويحدد من الذى سينتصر ؟ ومن الذى سيهزم ؟ وما الذى يجعله يدخل فى قضية غيب كهذه ؟ كيف يجبر الكفار بما تخفيه صدورهم ولم تهمس به شفاهم .. ويقول لأعداء الإسلام ما سيقع لهم ؟ ويتحدى فى قضايا الغيب .. وماذا كان يمكن أن يحدث لقضية الإيمان كله .. لو لم يصدق القرآن فى كل حرف قاله ؟ ولكن القائل هو الله والفاعل هو الله

القرآن الكريم :

القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. والمتعبد بتلاوته .. والمتحدى به .. والقرآن يحمل أكثر من معجزة .. تحدى الله به العرب أولاً .. ثم تحدى به الإنس والجن .. لم يتجد به الله الملائكة .. لأن الملائكة ليس لهم اختيارات ليعملوا بها .. أى أنهم يفعلون ما يؤمرون به من الله فقط .. ومن هنا فإن القرآن يتحدى كل القوى المختارة أو التى لها اختيار .. التى ميزها الله .. بقدرة العقل والفكر والاختيار ..

الاطلاعات القرآنية

وقبل أن نتحدث عن معجزة القرآن .. يجب أن نحدد معنى كلمة معجزة .. حين يأتي إنسان ويقول إنه رسول من عند الله جاء ليبلغ بمنهجه .. أفنصدقه ؟ أم أننا نطالبه بإثبات ما يقول ؟ إذن كان لا بد أن تجيء مع كل رسول معجزة تثبت صدقه في رسالته وفي بلاغه عن الله<sup>(١)</sup> وأن تكون المعجزة مما لا يستطيع أحد أن يأتي به ، وأن تكون أيضا مما نبغ<sup>(٢)</sup> فيه قومه .. لماذا ؟ .. حتى لا يقال أن الرسول قد تحدى قومه بأمر لا يعرفونه ولا موهبة لهم فيه .. فالتحدى يجب أن يكون في أمر نبغ فيه القوم حتى يكون للتحدي قيمة .. ولذلك نلاحظ في معجزة كل رسول أنها جاءت فيما نبغ فيه قومه .. وأنها جاءت لتهدم من يتخذونه إلهًا من دون الله ..

### معجزة إبراهيم :

فمثلا معجزة إبراهيم عليه السلام جاءت في قوم يعبدون الأصنام .. ويسجدون لها ويقدمون لها .. ولذلك عندما أرادوا إحراق إبراهيم جاءوا به أمام الهتهم ليلقوه في النار .. وكان المفروض أن هذه الآلهة تنتقم لنفسها ممن حطمها إذا كانت تستطيع لنفسها نفعا أو ضرا .. ولكنهم حين ألقوا بإبراهيم الذي سفه<sup>(٣)</sup> معتقداتهم في النار لم تحرقه النار .. وخذلهم<sup>(٤)</sup> آلهتهم ..

(١) المعجزة : هي الأمر الخارق للعادة ويظهره الله تعالى على يد من اختاره ليبلغ رسالته وأن تكون المعجزة مما لا يستطيع أحد أن يأتي به

(٢) نبغ : برع وتفوق .

(٣) سفه : عاب .

(٤) خذلهم : لم تستطع لهم نصرا .

على أن اختيار النار يمكن أن يكون له معنى آخر .. فكم من الناس  
عبدوا النار في الماضي .. حتى خلال هذه الفترة نجد أن بعض الناس  
لا يزالون يتخذون النار إلها مقدسا ..

ولكن معجزة إبراهيم ليست أن ينجو من النار .. فلو أراد الله أن  
ينجيه من النار ما مكنهم من إلقاء القبض عليه ، أو لنزلت الأمطار لتطفئ  
النار .. ولكن الله شاء أن تظل النار تارا متأججة (١) محرقة مدمرة .. وأن  
يؤخذ إبراهيم عيانا أمام كل الناس ويرمى في النار .. وهنا يعطل ناموس (٢)  
أو قانون إحراقها قلنا **يُنَارُ كَوْلِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** (٣)

لو أن إبراهيم نجى بأن هرب مثلا .. لقالوا لو أمسكناه لأحرقناه ..  
ولو نزلت الأمطار لقالوا لو لم تنزل الأمطار لأحرقناه .. ولكن إبراهيم لم  
يهرب .. والأمطار لم تنزل .. والنار متأججة .. ولكنها لم تحرق  
إبراهيم .. فكان آلهتهم التي كانوا يزعمون أنهم ينتقمون لها ليست آلهة  
كما يزعمون .. إنما هي أصنام لا تضر ولا تنفع .. وكل شيء في هذا  
الكون خاضع لمشيئة الله .. وإرادة الله .. عندما يقول « يا نار كولي  
بردا وسلاما » .. تعطل خاصية الإحراق .. وتقف قوانين الكون  
عاجزة أمام قدرة الله .. وتقف آلهتهم عاجزة عن أن تقول : يا نار  
أحرقني من حطمتنا ..

(١) متأججة : مشتعلة

(٢) ناموس : قانون .

(٣) الأنبياء (٦٩) .

## معجزة عيسى :

وعيسى عليه السلام جاء والقوم يعلمون الطب .. فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه .. فأبرأ الأكمه (١) والأبرص (٢) وتسامى إلى شيء آخر لم يصلوا هم إليه .. فأحيا الموتى .. إذن فمعجزات الرسل هي خرق لنواميس أو قوانين الكون .. فالنار مع إبراهيم تعطل خاصية إحراقها .. والماء مع موسى يفقد قوانينه .. وقانون الماء هو الاستطراق .. لا يكون عاليا في مكان ومنخفضا في مكان آخر ، لا بد أن يتساوى سطحه .. فإذا ضرب موسى بعصاه البحر انشق وأصبح كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل العظيم يقف عاليا ليخرق قوانين الماء كلها ..

ولكن لماذا حدث هذا ؟ لماذا انفلق البحر إلى جزأين .. وتعطلت كل قوانين الماء ؟ لأن موسى رد الأمر إلى الله .. كيف ؟ .. حينما تبع قوم فرعون قوم موسى .. ( قال أصحاب موسى إنا لمدركون ) (٣) .. وهذا كلام واقعي .. لأن البحر أمامهم .. وقوم فرعون وراءهم .. والمسألة في قانون البشر واضحة لا تحتاج إلى بيان .. ولكن موسى قال : كلا .. وقالها بملء فيه .. قالها وهو واثق تماما .. لماذا ؟ .. لأنه لم يزعم أنه سينجو بأسباب البشر .. لم يقل

(١) الأكمه : الأعمى .

(٢) البرص : مرض لا يبرأ صاحبه .

(٣) لمدركون : هالكون لا محالة .



إني سأنجو لأننا سنصعد إلى جبل كذا .. أو سنعبّر البحر بطريقة كذا .. وإنما قال **كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** (٦٢) .. ونقل المسألة من قانون الإنسان إلى قدرة الله .. وهنا قال الله **أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** (٦٣) .. (٢)

## معجزة القرآن وكيف تختلف

على أنه يلاحظ أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين .. معجزات الرسل خرقت النواميس .. وتحدثت .. وأثبتت أن الذي جاءت على يديه رسول صادق من الله .. ولكنها معجزات كونية .. من رآها فقد آمن بها .. ومن لم يرها صارت عنده خبرا .. إن شاء صدقه . وإن شاء لم يصدقه .. ولو لم ترد في القرآن لكان من الممكن أن يقال إنها لم تحدث . إذن فالمعجزة الكونية المحسنة .. أي التي يحس بها الإنسان ويراها .. تقع مرة واحدة .. من رآها فقد آمن بها .. ومن لم يرها تصبح خبرا بعد ذلك .. ولكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم معجزة عقلية باقية خالدة .. يستطيع كل واحد أن يقول محمد رسول الله .. وهذه معجزته وهي القرآن ..

شيء آخر إذا نظرنا إلى المعجزات السابقة .. وجدنا هذه المعجزات فعلاً من أفعال الله .. وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أن

(١) الشعراء (٦٢)

(٢) الشعراء (٦٣)

يفعله الله ؛ البحر انشق لموسى ثم عاد إلى طبيعته .. النار لم تحرق إبراهيم ولكنها عادت إلى خاصيتها بعد ذلك .. ولكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم صفة من صفات الله .. وهى كلامه .. والفعل باق بإبقاء الفاعل له .. والصفة باقية بإبقاء الفاعل نفسه ..

### اختلاف معجزة القرآن عن معجزات الرسل :

ويلاحظ أيضا في معجزة القرآن .. أنها اختلفت عن معجزات الرسل اختلافا آخر .. كل رسول كانت له معجزة .. وله كتاب منهج .. معجزة موسى العصى .. ومنهجه التوراة .. ومعجزة عيسى الطب .. ومنهجه الإنجيل .. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزته هى عين منهجه .. ليظل المنهج محروسا بالمعجزة .. وتظل المعجزة فى المنهج .. ومن هنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن داخلة فى نطاق التكليف .. بمعنى أن الله سبحانه وتعالى كان يكلف عباده بالمحافظة على الكتاب .. أما القرآن فقد قال الله سبحانه وتعالى عنه .. **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (١) لماذا ؟ .. أولا : لأن القرآن معجزة .. وكونه معجزة لا بد أن يبقى بهذا النص وإلا ضاع الإعجاز .. ثانيا : لأن الله جرب عباده فى الحفاظ على الكتب السابقة .. ففسوا حظا مما ذكروا به .. والذين لم ينسوه كتموا بعضه .. والذين لم يكتموا يلوون ألسنتهم به ويحرفونه عن موضعه ..

(١) الحجر (آية ٩) .

وهكذا نرى أنه كان هناك أكثر من نوع : المسخ (١) والنسيان  
والتحريف .. ثم جاءوا بأشياء من عندهم وقالوا إنها من عند الله ليشتروا  
بها ثمنا قليلا ..

### التطبيق والحفظ

ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى قرر أن يحافظ على القرآن .. ولو  
أخذنا خطين .. خط تطبيق القرآن والعمل بتعاليمه .. وخط المحافظة على  
القرآن .. نرى أن خط تطبيق القرآن كلما مر الزمن ضعف .. وخط  
المحافظة على القرآن كلما مر الزمن ازداد .. لو كنا نطبق المنهج تطبيقا  
سليما لتساوى الخطان .. ولكن غفلتنا عن تعاليم القرآن كسلوكه  
في الحياة لا تمشي مع ازدياد الحفاظ على القرآن .. نجد القرآن في كل  
مكان .. في كل منزل ومكتب وسيارة .. حتى غير المسلم يحافظ على  
القرآن ويحمله .. فنجد شخصا ألمانيا مثلا يفكر في أن يكتب القرآن في  
صفحة واحدة .. بشكل جميل .. فلماذا يفعل ذلك مع القرآن .. قبل  
أن يفعله مع الكتب السماوية الأخرى ؟ وما الذي يجعل دولة كاليابان  
وإيطاليا تفتنان في طباعة المصحف بشكل جميل أنيق ؟ إن ذلك يحدث  
لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يدلل لنا على أنه يحفظ القرآن .. وكلما  
ابتعدنا عن المنهج .. ازدادنا في حفظ القرآن والعناية به .. ليدل على أن  
الذي يحفظه هو الله .. وليس القائمين على المنهج ..

(١) المسخ : تغير الشكل إلى ما هو أفتح .

## معجزة القرآن للعالم كله والكفار يناقضون أنفسهم

القرآن يتحدى العرب :

فإذا حددنا هذه العناصر الثلاثة التي تمتاز بها معجزة القرآن (١) ..  
نتنقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته .. جاء  
من جنس ما نبغ فيه العرب .. القوم الذين نزل فيهم .. قوم محمد صلى  
الله عليه وسلم .. عرفوا بالبلاغة والفصاحة وحسن الأداء وجمال  
المنطق ، وسلاسة التعبير .. فيتحداهم القرآن في هذا .. فلما سمعوه  
انبهروا (٢) .. ولكن العناد أوقفهم .. قالوا: ساحر .. والرد هنا بسيط  
جدا .. هل يملك المسحور اختيارا مع الساحر ؟ إذا كان محمد  
ساحرا .. فقد سحر الناس .. فلماذا لم يسحركم أنتم حتى تتبعوه ؟ إن  
المسحور لا يخضع للساحر بإرادته .. ولا يأتي ليقول له: سأصدق هذا  
السحر وأكذب بهذا السحر .. إنما المسحور مسلوب الإرادة أمام  
الساحر .. فكونكم تقولون إنه ساحر وأنتم لا تؤمنون به دليل على أنكم  
كاذبون ..

(١) القرآن معجزة عقلية ، وهو كلام الله وصفته باقية ببقائه ، ومعجزة القرآن هي  
نفس المنهج ليظل المنهج محروسا بالمعجزة وتظل المعجزة في المنهج .  
(٢) انبهروا: غلبوا على أمرهم ببلاغته ، من جره عليه وفضله .

ثم قالوا شاعر .. محمد لم يقل الشعر في حياته .. وأنتم تعرفون .. فلماذا فجأة تتهمونونه بالشعر .. ثم قالوا مجنون .. هل المجنون يكون على خلق؟ إنك لا تعرف إذا كان المجنون سيشتبك .. أو يقذفك بحجر لا تعرف ماذا سيفعل معك في الدقيقة التالية فهل المجنون يكون على خلق عظيم كالنبي صلى الله عليه وسلم؟ الذي يعرفون خلقه جيدا .. والذي كانوا يلقبونه قبل الرسالة بالأمين .. الذي حدث أنهم انبهروا .. ذهلوا .. هم ملوك البلاغة والفصاحة وأساطينها<sup>(١)</sup> .. فجاءهم كلام أعجزهم .. وجدوا أنفسهم عاجزين .. فتخطوا .. قالوا: ساحر .. قالوا: مجنون .. وقالوا: أشياء لا تخضع لأي منطق .. لأنهم من قوة المفاجأة فقدوا الحجمة والمنطق .. والقرآن يواصل التحدي أن يأتي بمثله .. ثم يمعن في التحدي ليقول بعشر سور .. ثم يمعن في التحدي ليقول سورة من مثله .. كان هذا هو أول إعجاز للقرآن .. معجزة تحدث القوم الذين نزل فيهم بما نبغوا فيه ..

ولكن التحدي في القرآن ومعجزاته ليست للعرب وحدهم .. بل هي للعالم أجمع .. ومن هنا فقد كان إعجاز القرآن اللغوي .. هو تحديه للعرب فيما نبغوا فيه .. ولكن التحدي لم يأت للعرب وحدهم .. والقرآن جاء لكل الأجناس .. وكل الألسنة .. فأين التحدي .. لغير العرب؟ ثم هذا الكتاب سيقتدى إلى أن تقوم

(١) أساطينها : أربابها فطالون بها والناهنون فيها .

الساعة .. فلا بد أنه يحمل معجزة للعالم في كل زمان ومكان .. ومن هنا كانت هناك معجزات للقرآن .. وقت نزوله وفي خلال فترة نزوله .. وبعد نزوله .. وهي مستمرة .. حتى يومنا هذا .. مستمرة إلى قيام الساعة لتظهر لنا آيات الله في الأرض ..

## معجزة القرآن تتحدى العالم

القرآن مزق حواجز الغيب :

حينما جاء القرآن تحدى في أشياء كثيرة .. أولها أنه مزق حواجز الغيب .. مزق حواجز الزمان والمكان .. كيف ذلك ؟ حواجز الغيب ثلاثة .. أولها حاجز المكان .. أى أن أشياء تحدث في نفس اللحظة .. ولكن لا أعرف عنها شيئاً .. لأنها تحدث في مكان .. وأنا موجود في مكان آخر ..

ثم هناك حاجز الزمن الماضي .. وهو شيء حجبته عنى زمن مضى .. فأنا لم أشهده .. وحاجز المستقبل وهو ما سيحدث غداً لأن حاجز الزمن المستقبل .. قد حجب عنى فلم أشهده .. إذن فحواجز الغيب ثلاثة .. حاجز المكان .. وحاجز الزمن الماضي .. وحاجز الزمن المستقبل ..

إذا قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضي .. فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة .. ويروى لنا قصص الرسل السابقين .. ويحكى لنا أشياء لم يكن أحد يعرفها .. وعلى لسان من ؟ على لسان

نبي أمي .. لا يقرأ ولا يكتب .. يحكى إذن أسرار الماضي .. ويتحدى  
الذين يكذبون .. مزق له الله حجاب وحاجز الزمن الماضي .. ويكفى  
أن تقرأ في القرآن .. وما كنت وما كنت وما كنت .. لتعرف كم أخبر  
الله رسوله بأنباء من غيب الماضي .. وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ  
أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ<sup>(١)</sup> .. أى إنك لم تكن هناك يا محمد .. ولكن  
الله هو الذى أخبرك ومزق لك حجاب الزمن الماضي ..

وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا<sup>(٢)</sup> فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup> آيَاتِنَا  
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرَجِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ<sup>(٤)</sup> ، وَمَا كُنْتَ  
بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ<sup>(٥)</sup> ،

وهكذا نرى أن القرآن مزق حجاب الزمن الماضي فى أكثر من  
مناسبة ليخبر محمدا عليه السلام بالأخبار الصحيحة عن سبقه من  
الرسل والأنبياء ويصحح ما حرف من الكتب السماوية التى أنزلها الله  
وحرّفها الرهبان والأخبار ..

بل إن الإعجاز هنا جاء فى تصحيح ما حدث من تحريف الكتب  
السماوية التى سبقت القرآن .. وكان محمد صلى الله عليه وسلم

(١) آل عمران (٤٤) .

(٢) تاويا : مقبلا .

(٣) القصص (٤٥) .

(٤) القصص (٥٤) .

(٥) القصص (٤٦) .

يتحدى بالقرآن أحبار<sup>(١)</sup> اليهود ورهبان النصارى .. ويقول لهم هذا من عند الله .. في التوراة أو الإنجيل .. وهذا حرفتموه في التوراة أو الإنجيل .. ولم يكونوا يستطيعون أن يواجهوا هذا التحدى أو يردوا عليه .. ذلك أن التحدى للقرآن في تمزيق حجاب الزمن الماضى .. وصل إلى أدق أسرار الرسالات السماوية الماضية فصحتها لهم .. وبين ما حرفوه منها وما أخفوه .. وتحداهم أن يكذبوا ما جاء في القرآن فلم يستطيعوا .. ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**<sup>(٢)</sup> ..

ثم جاء الأمر الثانى .. فمزق الله حجاب المكان لمحمد عليه الصلاة والسلام .. وجاء فى أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس .

وهنا وقبل أن نبدأ .. أحب أن نضع فى أذهاننا جيدا أن القرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته .. وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير ولا يجرؤ أحد على أن يمسه أو يحرفه ومن هنا فإن هذا الكلام حجة على محمد عليه الصلاة والسلام مأخوذة عليه .. فإذا أخبر القرآن بشيء .. واتضح أنه غير صحيح .. كان ذلك هدمًا للدين كله ..

يأتى القرآن وقد بينت خطورة ما يقول .. **وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ**<sup>(٣)</sup> .. ما معنى هذا الكلام ؟ معناه إيمان فى

(١) أحبار : رجال الدين اليهود والرهبان والقسس رجال الدين المسيحيون .  
 (٢) مريم (٣٤) .  
 (٣) المجادلة (٨) .



التحدى .. فالقرآن هنا لا يقول لهم لقد هتكت (١) حاجز الماضي ..  
 وأخبرتكم بأنباء الأولين .. ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان وأخبركم  
 بما يدور في بقعة قريبة لا ترونها بل يقول : سأهتك حاجز النفس ..  
 وأخبركم بما في أنفسكم .. بما في داخل صدوركم .. بل بما تهمس به  
 شفاهكم .. وكان يكفي لكي يكذبوا محمداً أن يقولوا لم تحدثنا أنفسنا  
 بهذا .. لو لم يقولوها بالفعل داخل أنفسهم لكان ذلك أكبر دليل لكي  
 يكذبوا محمداً ويعلنوا أنه يقول كلاماً غير صحيح .. إذن فالقرآن في  
 هتكة لحجاب المكان .. دخل إلى أعماق النفس البشرية .. وإلى داخل  
 نفوس من ؟ إلى داخل نفوس غير المؤمنين الذين يهتهم هدم الإسلام ..  
 وقال في كلام متعبد بتلاوته لن يتغير ولا يتبدل .. قال : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

نُهِوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ  
 وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ  
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُ لَهُمْ

جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا فَالْمَصِيرُ ﴿٨﴾ .. صدق الله العظيم .. قال  
 ما يدور في أنفس غير المؤمنين .. فهل هناك أكثر من هذا تحدياً ..  
 لحجاب المكان .. إنه تحدفوق قدرة كل الاختراعات البشرية التي وصل  
 إليها العلم الآن لا اختراق حجب المكان ..

بل إن التحدى ظهر فيما يحرص غير المؤمنين على إخفائه ..  
 فالإنسان حين يحرص على إخفاء شيء .. ويكون غير مؤمن يأتي إليك

(١) هتكت : مزقت . (٢) المجادلة (٨) .

فيحلف لك بأن هذا صحيح وهو غير صحيح في نفسه فقط .. ولكن

حرصه في أن يخفيه على الناس يجعله يؤكد أنه صحيح بالحلف ..

ويأتي الله سبحانه وتعالى فيجعل القرآن يمزق نفوس هؤلاء

الناس .. ويظهر ما فيها إمعانا في التحدى .. ويقول الله سبحانه وتعالى

وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا الْخُرْجَنا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ

أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ (١) .. ويقول سبحانه

وتعالى يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّكَ

اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢) .. ويقول سبحانه وتعالى

وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ (٣)

إذن فالقرآن هنا جاء لأناس غير مؤمنين .. وهتك حاجز النفس

بالنسبة لهم فأخرج ما في صدورهم وعراهم أمام الناس جميعا .. وفضح

كذبهم .. ونشر على الدنيا كلها ما في صدورهم من كذب ورياء

ونفاق .. أي أنه أهانهم أمام المجتمع كله .. ولو كان هذا غير صحيح

لقال هؤلاء القوم إننا لم نكذب .. إننا لصادقون .. والكلام الذي يدعيه

محمد بأنه يأتي من عند الله كلام غير صحيح .. ولكن هؤلاء بهتوا من أن

القرآن مزق حجاب نفوسهم فلم يستطيعوا ردا .. وبهتوا لأن الله أخرج

ما في صدورهم .. وعراهم أمام الناس جميعا .. فلم يفعلوا شيئا أكثر من

(١) التوبة (٤٢) .

(٢) التوبة (٩٦) .

(٣) المجادلة (١٤) .

أنهم تواروا<sup>(١)</sup> بعد أن افتضحت حقيقتهم .. ولو كان هذا القرآن من عند غير الله لما استطاع أن يصل إلى داخل النفس البشرية .. وهى من أدق أسرار الدنيا التى لم يستطع علم أن يصل إليها حتى الآن .. فإذا بالقرآن يأتى متحديا بكلام متعبد به إلى يوم القيامة لا يستطيع أحد تبديل حرف فيه ليكشف ما فى داخل النفس .. ويعرى ما تكتمه عن الناس جميعا .. وما هى حريصة على كتمانها .. حتى إنها تحلف باسم الله كذبا ليصدقها الناس .. يأتى القرآن فيمزق هذا كله .. أتريد إعجازا أكثر من ذلك ؟

ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل .. كان لابد أن يكون الحديث عن المستقبل على عدة مراحل .. المرحلة المعاصرة .. لكى يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون وغير المؤمنين أنه الحق .. ومرحلة المستقبل البعيد لكى يعرف كل عصر من العصور التى ستأتى بعد نزول القرآن أن هذا هو كتاب الله الحق .. ومن هنا كان التحدى .. بالنسبة للمعاصرين عن أحداث قريبة .. وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون كله .. وهنا أحب أن أتنبأ إلى شئ هام جدا هو استخدام حرف السين فى القرآن .. فحرف السين كما نعرف فى اللغة العربية لا يستخدم الا بالنسبة لأحداث مستقبلية .. والقرآن محفوظ ومتعبد به وبتلاوته .. وسيظل محفوظا حتى يوم الساعة .. ومعنى ذلك أنه لا يمكن تبديله أو تغييره أو إنكاره من أحد من المتعبدين به .. بل إنه سيظل يتلى هكذا كما

(١) تواروا : اختفوا .

أنزل .. إذن فإنباء القرآن بأحداث مستقبلية يسجل هذه الأحداث على قضية الإيمان نفسها .. ويطعن الدين في صميمه .. إذا تبين أن ما تنبأ به القرآن غير صحيح .. ومن هنا فلا بد أن يكون قائل القرآن متأكدا من أن هذا سيحدث في المستقبل .. من من البشر يستطيع أن يتأكد ماذا سيحدث له بعد ساعة واحدة فما بالك بعد أيام وسنوات ؟. الجواب .. لا أحد .. ذلك أن قدرة البشر في صنع الأحداث محدودة .. فقد حجب عنهم الزمن .. وحجب عنهم المكان .. فلو قلت مثلا : إنني سأبنى عمارة في هذه البقعة بعد عام .. أنا لا أضمن أنني سأعيش حتى الساعة القادمة .. وبذلك لا أستطيع أن أحكم إذا كنت سأكون موجودا هناك أم لا .. هذه واحدة .. ثانيا قد تأتي الحكومة مثلا وتبنى مستشفى في هذا المكان .. أو قد يقام في هذا المكان سوق أو شارع فأنا لا أستطيع أن أجزم في شيء مادي سيحدث بعد فترة زمنية محدودة .. ولكن الذي يستطيع أن يقول هذا يقينا هو الذي يملك القدرة .. ومن هنا فإنه يستطيع أن يقول يقينا : إن هذا سيحدث بعد فترة من الزمن .. والذي يملك ذلك هو الله سبحانه وتعالى .. فإذا كان الحديث عما سيحدث بعد آلاف السنين فإن ذلك فوق طاقة البشر جميعا .. لقد أنبأ القرآن بما سيحدث بعد أعوام قليلة .. وبما سيحدث بعد آلاف السنين .. فالذي قال هذا هو القادر العالم بأن ذلك سيحدث يقينا وهو الله سبحانه وتعالى ..

انظر إلى قوله سبحانه وتعالى : **سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ**  
**الدُّبُرَ** (٤٥) (١) لقد نزلت سورة القمر هذه في مكة والمسلمون قلة .  
وأذلة .. حتى إن عمر بن الخطاب أقال : أى جمع هذا الذى سيهزم  
ونحن لا نستطيع أن نحمل أنفسنا وهكذا يتنبأ القرآن بأن الإسلام  
سينتصر .. فى مكة .. وأن هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة الإسلام  
فى مكة سيهزمون ويولون الإدبار .. ويتنبأ بها متى ؟ والمسلمون  
قلة .. وأذلة .. لا يستطيعون حماية أنفسهم .. ويطلقها قضية ..  
وهو على يقين من أن الله الذى قالها سيحققها .. وبعد ذلك نجد  
عجبا .. الوليد بن المغيرة العدو الألد (٢) للإسلام .. والمشهور  
بكبريائه ومكابرتة وعناده .. يأتى القرآن ويقول هذا الإنسان المكابر  
العنيد .. « نسممه على الخرطوم » (٣) .. أى أنه سيقتل بضربة على  
أنفه .. ويحدد موقع الضربة .. وبعد ذلك يأتى فى بدر .. فتراه قد  
وسم على خرطومه .. أى ضرب على أنفه .. من الذى يستطيع أن  
يحدد موقع الضربة ومكانها ؟ من الذى يستطيع أن يجزم .. ماذا  
سيحدث بعد ساعة واحدة ؟

(١) سورة القمر الآية ٤٥ .

(٢) الألد : الشديد العداوة .

(٣) نسممه : نعلمه بعلامة ، الخرطوم : الأنف . ( القلم ٦ ) .

## أحداث المستقبل وتحدي القرآن

(أ) تحدي القرآن للعرب

نأتى بعد ذلك إلى آية أخرى .. الرسول عليه الصلاة والسلام يأتي  
 فيقرأ .. **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا  
 كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرًا تُهْرَقُهُ  
 حَمَلَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِينٍ ۝٥**  
 .. هذا قرآن .. وفيمن ..؟ في عم الرسول .. وفيمن ..؟ في  
 عدو الإسلام .. ألم يكن أبو لهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه  
 الآية؟ ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن؟ ضد هذا  
 الدين .. قالت له الآية يا أبا لهب أنت ستموت كافراً ، ستموت  
 مشركاً ، وستعذب في النار .. وكان يكفي أن يذهب أبو لهب إلى أى  
 جماعة من المسلمين .. ويقول أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً  
 رسول الله .. يقولها نفاقاً .. يقولها رياءً (٢) .. يقولها ليهدم بها  
 الإسلام .. لا يدخل في الإسلام .. يقولها ثم يقف وسط القوم يقول :  
 إن محمداً قد أنبأكم أنني سأموت كافراً .. وقال: إن هذا كلام مبلغ له من  
 الله .. وأنا أعجبني إسلامي لأثبت لكم أن محمداً كاذب .. لو كان أبو  
 لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا .. ولكن حتى هذا التفكير لم

(١) سورة المسد . ومعنى المسد : الليف الخشن .

(٢) الرياء : الكذب والنفاق .

يجرؤ عقل أبا لهاب على الوصول إليه .. بل بقى كافرا مشركا ، ومات وهو كافر .. ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهاب سيموت كافرا أمرا ممكنا .. لأن كثيرا من المشركين امتدوا إلى الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب .. وغيرهم .. كانوا مشركين وأسلموا .. فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهاب بالذات لن يسلم ولو نفاقا وسيموت وهو كافر؟ المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو .. وتحدها في أمر اختياري .. كان من الممكن أن يقوله ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث .. لماذا؟ لأن الذي قال هذا القرآن يعلم أنه لن يأتي إلى عقل أبا لهاب تفكير يكذب به القرآن .. هل هناك إعجاز أكثر من هذا؟

### (ب) تحدى القرآن لغير العرب

انتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية .. وهى ماذا حمل القرآن لغير العرب في عصره؟ ولغير العرب والدنيا كلها بعد عصره؟ أى ماذا حمل القرآن من أنباء نواميس الله فى الأرض وقوانينه التى كانت غيبا على البشرية كلها فى عصره وبعد عصره؟ هنا الأمثلة كثيرة .. والمجال لا يتسع لها كلها .. ولكنى سأحاول أن أبين عددا منها فيما يختص بالإعجاز فى عصر القرآن لغير العرب .. فقد كان هناك أمتان كبيرتان امبراطوريتان بجانب الجزيرة العربية .. هما الروم والفرس .. الروم أمة مؤمنة .. أهل كتاب (١) .. ولو أنهم لا يصدقون برسالة محمد إلا أن هناك عندهم إيمانا بوجود الله .. والقيم السماوية .. والفرس كانوا أهل كفر وإلحاد فى ذلك الوقت (٢) .. لا يؤمنون بأى دين من الأديان .. إذن

(١) - روم: كانوا على دين المسيح (مسيحيون) .

(٢) - فرس: كانوا يعبدون النار (مجوس) .

فأيهما أقرب إلى قلب المؤمنين ؟ .. الروم باعتبارهم أهل كتاب ..  
 وأيهما أقرب إلى قلب الملحدين والكفار .. الفرس باعتبارهم مشركين  
 وكفرة .. قامت الحرب بين الدولتين .. فهزم الروم وانتصر الفرس ..  
 وهنا فرح المشركون لأن الكفر قد انتصر .. وحزن المؤمنون لأن نوعاً  
 من الإيمان قد انهزم .. وهنا يتدخل الله سبحانه وتعالى ليزيل عن  
 للمؤمنين هذا الحزن .. فيقول في كلام محفوظ متعبد بتلاوته لن يجرؤ  
 ولن يستطيع أحد أن يغير فيه .. يقول :

الْم ۞ غَلَبَتِ الرُّومُ ۞ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ  
 غَلَبِهِمْ سَيَقْلَبُونَ ۞ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ  
 مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞  
 بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ (١)

ثم يمضي القرآن ليعمن في التحدى ..

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢) ..  
 ما هذا؟ أيستطيع محمد صلى الله عليه وسلم أن

يتنبأ بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضعة سنين ؟ هل  
 يستطيع قائد عسكري مهما بلغت قوته وعبقريته .. ونبوغته أن يتنبأ  
 بمصير معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها ؟ فما بالك أن  
 ذلك يأتي ويقول إنه بعد بضعة سنين ستحدث معركة بين الفرس

(١) سورة الروم الآيات (١ - ٥)

(٢) سورة الروم من ٦



والروم ویتتصر فیہا الروم .. هل أمن محمد صلی اللہ علیہ وسلم علی نفسه أن یمیش بضع سنین لیشهد هذه المعركة؟ ولقد وصل الأمر بأبی بکر رضی اللہ عنہ .. أنه رهن علی صحة ما جاء به القرآن .. إذن فقد أصبحت قضية إيمانية كبرى .. هذا هو القرآن .. كلام اللہ .

وأساس الإيمان كله .. يأتي ويحبر بحقيقة أرضية قريبة ستحدث لغیر العرب .. ويقول الكفار إن القرآن كاذب .. فيقول المؤمنون إن هذا صدق .. ويحدث رهان بين الاثنين ..

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه لم تحدث معركة بين الروم والفرس؟ أو لو أنه حدثت معركة وهزم فيها الروم؟ أكان بعد ذلك يصدق أي إنسان القرآن؟ أو يؤمن بالدين الجديد؟ ثم إذا كان القرآن من عند محمد فما الذي يجعله يدخل في قضية غيبية كهذه لم يطلب منه أحد الدخول فيها؟ أيضع الدين من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد؟ ولم يتحده فيها إنسان؟ ولكن القائل هو اللہ .. والفاعل هو اللہ .. ومن هنا كان هذا الأمر الذي نزل في القرآن يقينا سيحدث .. لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان .. وحجاب المكان .. ولا أي حجاب وهو الذي يقول ما يفعل .. ومن هنا حدثت الحرب .. وانتصر الروم على الفرس فعلا .. كما تنبأ القرآن ..

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين في وقت نزوله .. أي أنه لم يتحد العرب وحدهم .. بل تحدى الكفار والمشركين من غير العرب .. بأن أنبأهم بما سيحدث لهم قبل أن يحدث بسبع أو ثمانى سنوات .. تحداهم بهذا عليهم يؤمنون ..

## الخلاصة :

إذا انتهينا إلى هذا نكون قد أثبتنا أن القرآن تحدى العرب وغير العرب في وقت نزوله .. ولكننا قلنا إن القرآن ليس له زمان .. وليس له مكان .. وأنه سيظل حتى قيام الساعة .. فكيف يمكن أن يتحدى الأجيال القادمة ؟ . لا بد أن يكون للقرآن معجزة دائمة .. أن يعطي عطاء لكل جيل لم يعطه للأجيال السابقة ..

وقد كان .. جاء في القرآن أشياء لو أن أحدا أخبر بها وقت نزوله لاتهم الذين قالوها بالجنون .. ولكنها جاءت للعصور القادمة ، جاءت لتحدى عبر الأجيال إلى يومنا .. وإلى الأيام القادمة ..

## مناقشة الفصل الأول

١ - أكمل ما يأتي :

( أ ) القرآن الكريم هو : كلام الله المنزل على .....

( ب ) نزل القرآن الكريم في شهر .....

٢ - اختر الإجابة الدقيقة وانقلها في كراسة إجابتك .

تحدى النبي بمعجزة القرآن الكريم

( العرب - الملائكة - الإنس والجن )

٣ - مضاد ( الأكمة ) ( المتحدث - الصحيح - البصير ) .

٤ - ما مفهوم المعجزة؟ وما وجه الإعجاز في قوله تعالى : « يا نار

كوني بردًا وسلامًا » ؟

٥ - وضح أهم الفروق التي ذكرها المؤلف بين معجزة القرآن

الكريم ومعجزات الرسل السابقين لحمد عليهم وعليه السلام .

٦ - اختر الإجابة الدقيقة وانقلها في كراسة إجابتك .

في قضية رمى المشركين للرسول عليه السلام بالسحر كاذب

( أ ) لأن العرب لم يعرفوا السحر .

( ب ) لأن القرآن لم يقر بأن محمدًا عليه السلام ساحر .

( ج ) لأن الرسول لو كان ساحرًا لسحروهم فاعترفوا له

بالرسالة .

## الفصل الثاني

# وشهدوا للقرآن وهم كافرون

إن إعجاز القرآن لم يتوقف .. ولن يتوقف .. وإذا كان القرآن قد تحدى الكفار في عصر نزوله بأن أنبأهم بما يدور داخل صدورهم .. وأنبأهم بمصائرهم .. فإنه يتحدى الكفار حتى في هذا الزمان .. في هذا الوقت الذي نعيش فيه بل ويستخدمهم .. في ماذا ؟ في إثبات قضية الإيمان .. تماما كما استخدمهم وقت نزوله في إثبات قضية الإيمان .. إن هدف الكفار والمضلين عن سبيل الله هو إنكار هذا الدين .. وإنكار وجود الله .. ولكن القرآن جاء .. وبعد أربعة عشر قرنا .. ليستخدم الكفار في إثبات أن دين الله حق .. وأن هذا الكتاب هو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .. وهذا هو موضوعنا :

## الحقائق الكونية في القرآن الكريم

مقدمة :

عندما يقول الله سبحانه وتعالى

الْمُرْتَرَانِ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا  
أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا  
وَعَرَابِيٌّ سُودٌ <sup>٢٧</sup> وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ  
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ <sup>(١)</sup>

(١) فاطر : (٢٧) .

فإننا نرى أن الله سبحانه وتعالى تكلم عن الجماد ..  
وتكلم عن النبات .. وتكلم عن الحيوان والإنسان .. ثم يقول الله  
سبحانه وتعالى : **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** (١) العلماء في  
ماذا؟ .. فيما يتعلق بخلق الله من الجماد والحيوان والنبات والإنسان ..  
ولذلك جاء الله سبحانه وتعالى بالمتناقضات الموجودة في النوع  
الواحد .. لو أنه جنس واحد لما وجد فيه متناقضات ..

### أولاً النبات :

عند قوله تعالى : **ثُمَّ رَتَّبْنَا كُلَّهَا لَوَاقِعَ مَقَادِرِهِمْ** كان يجب أن نلتفت إليها .. لماذا  
اختلفت ألوانها .. وما هي العلاقة بين الألوان والطبيعة .. مثلاً حينما  
يتغذى النبات وجد من الدراسة أنه يتغذى بواسطة خاصية الأنابيب  
الشعرية .. وهنا نقف قليلاً .. هل هذه الأنابيب الشعرية تميز .. هل  
تستطيع التمييز .. إذا جئنا بحوض .. ووضعنا فيه سائلاً مذاًباً فيه أصناف  
مختلفة .. ثم جئنا بالأنابيب الشعرية .. نجد أن الماء قد صعد في مستوى  
أعلى من مستوى الإناء .. ولكن هل كل أنبوبة ميزت عنصراً أخذته؟ ..  
أم أن كل أنبوبة أخذت من جميع العناصر؟ .. وهي مذاًب .. لكن النبات  
ليس هكذا .. إنني أزرع الحنظل .. بجانب القصب .. فيخرج هذا  
حلواً .. وهذا مرا .. هذا يأخذ عناصره وهذا يأخذ عناصره من نفس  
التربة .. هناك اختيار .. ومن هنا ظهر ما سمي بخاصية الانتخاب ..  
والانتخاب معناه الاختيار بين بديلات .. أي أنك تترك هذا وتأخذ

(١) فاطر : (٢٨) .

هذا .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفِصِلُ  
بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ<sup>(١)</sup> لكن خاصية الأنايب الشعرية ..  
تتعامل مع السائل كله .. بلا تمييز .. ومن هنا نعرف أن الخاصية شيء ..  
واختيار النبات للعناصر الغذائية التي يريدتها أو يحتاجها شيء آخر .  
ثانيا : الجماد :

نأتي بعد ذلك للجماد .. يقول الله سبحانه وتعالى « ومن  
الجمال جدد بيض وحر مختلف ألوانها وخرائب سود » .. هذا عن  
الجماد .. وهو علم الآن فيه مجلدات .. ثم بعد ذلك الإنسان ..  
أجناس الوجود كلها .. ثم بعد ذلك قال الله « إنما يخشى الله من  
عباده العلماء » .. العلماء في ماذا ؟ بهذه كلها .. إذن كلمة  
العلماء أطلقت على من يتفكر في خلق الله .. سواء كان جمادا أو  
حيوانا أو نباتا .. والذهن النشط يستطيع أن يصل إلى هذه العلوم  
الأرضية .. بالملاحظة والتجربة .. والدليل على ذلك أنك إذا  
استعرضت تاريخ أى مخترع من المخترعات في الكون التي أراحت  
الناس .. تجد أنها نتيجة لإنسان قد لاحظ بدقة .. ولم تمر عليه المسألة  
كباقي الناس والعلم مكانه المعمل والملاحظة والتجربة .

### نحن نتجاوز علم الأرض

ثالثاً : الإنسان والبحث في الروح :

ولكننا أحيانا نتجاوز موضوع العلم .. موضوع التجربة  
والمعمل .. وذلك عندما أقول مثلا الروح قبل المادة .. أو المادة قبل

(١) الرعد ٤٠

الروح .. فهذا بحث في عنصرى تكوين الإنسان الذى لم نشهد خلقه .. ولا نستطيع أن نجري عليه تجربة .. إن هذا يدخل في علم الله .. فهو الذى خلق .. وهو الذى يستطيع أن يقول لنا كيف تم الخلق .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَخْلَقَ أَنْفُسِهِمْ (١) . إذن فهذه مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشرى إلى نتيجة .. لماذا ؟ . لأننا لم نحضر التجربة .. ولم نرها بالعين .. ولا نستطيع أن نجربها أو نقوم بها .. ولكن بالأذن سمعنا عن الله .. وهذا أمر غيبى عنا .. ومادام الأمر غيبا عنا .. فإن الله الذى خلقنى هو الذى يحدثنى .. كيف خلقت ؟ . أما أنا فإننى لا أعرف كيف خلقت ؟ . ومن هنا فإننى لا يمكن أن أتحدث علميا عن العنصرين اللذين يتكون منهما الإنسان .. وأيهما جاء أولا .. وإذا صمم أحد على أن يبحث في هذا .. يكون قد شغل نفسه بعلم لا ينفعه عن جهل لا يضره .. لأنه لن يستطيع أن يدلى على ما يقول علميا .. وبالتجربة أنا أستطيع أن أمسك المادة وأدخلها للمعمل .. ولكنى لا أستطيع أن أمسك بالروح وأدخلها إلى المعمل ..

### العلم التجريبي لا اختلاف فيه

والعلم يجب أن يتم على مادة صماء .. يمكن أن تدخل في المعمل الأصم .. وتعطى حقائق صماء .. ألست هذه هي الحقيقة ؟  
والدليل على ذلك أن المسكرات المتصارعة لا تختلف في مذاهب

(١) الكهف : ٥١ .

العلم .. ولكنها تختلف في مذاهب الهوى والنظريات .. لا توجد  
هناك كهرباء أمريكية .. وكهرباء روسية .. ولا توجد كيمياء  
ألمانية .. ولا كيمياء إنجليزية .. كل علم الكيمياء في أى دولة من  
دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء التي لا هوى لها .. وبهذا  
تكون النتيجة واحدة .. سواء كان المعمل إنجليزيا أو أمريكيا أو  
سوفيتيا .. أو أى معمل من معامل الدنيا ..

ولكن الخلاف يحدث عندما تتدخل مذاهب الهوى  
والنظريات .. فإذا جئنا إلى مذاهب الهوى .. هوى النفس .. نجد  
أنها متناقضة .. ليست مختلفة .. ولكنها متناقضة .. هذا على النقيض  
من ذلك .. رأسمالية وشيوعية .. إيمان .. وإلحاد .. وإنكار للديانات  
لماذا ؟ . لأن هوى النفس دخل هنا فأفسد القضية العلمية وأضاع  
حقائقها .

فإذا أخذنا خلق الإنسان مثلا .. فاننا نأخذ هذا الخلق عن  
الله .. الذى خلق .. ماذا قال الله سبحانه وتعالى .. قال خلقتك من  
تراب .. وقال من طين .. وقال من حمأ مسنون .. وقال من  
صلصال كالفخار .. هذه ليست تناقضات في الخلق .. أو تناقضات  
في مادة الخلق نفسها وهى التراب .. بل إن الله سبحانه وتعالى يبين  
لنا أطوار هذه المادة من التراب إلى الطين إلى الحمأ إلى الصلصال ..  
إنها المراحل التى مر بها خلق الجسد البشرى من تراب إلى ما قبل نفخ  
الروح فيه .



## الكفار يشهدون بصحة القرآن

ونعود إلى الآية الكريمة مَا أَشْهَدُ بِهِمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُومًا (١) ما معنى كلمة  
مضل ؟ كلمة مضل تعنى أن هناك قضية حق... وان هناك إنسانا يريد  
أن يضللنى ويعطينى عكس القضية .. أى يعطينى غير الحقيقة وهو  
الضلال .. هذا هو معنى مضل .. إذن قول الله وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُومًا  
الْمُضِلِّينَ عَضُدًا .. أى إننى فى ساعة الخلق لم أطلب العون أو المساعدة  
أو المشورة .. أو النصيحة .. من هؤلاء المضلين .. وإلا لو كان حدث  
ذلك .. ثم جاءوكم يخبرونكم كيف تم خلق السماوات والأرض  
وكيف خلقتكم أنتم ؟ لكان لكم العذر فى تصديقهم .. ولكن ماداموا  
يشهدوا الخلق .. ولم أطلب معونتهم .. فإن ما سيقولونه لكم غير  
واقع . غير صحيح .. إنه إضلال .. وهذه معجزة من معجزات  
القرآن .. فقد قال لنا الله .. إنه سيكون هناك مضلون .. وأن هؤلاء  
المضلين سيحاولون أن يقولوا لكم غير الحق فى قضية خلق السماوات  
والأرض .. وفى قضية خلق الإنسان .. فلا تصدقوهم لأننى لم أسنع  
بهم ساعة الخلق .. ولم يكونوا موجودين إذن لو لم يحدث أن جاء أناس  
يضلون عن سبيل الله .. لقلنا إن القرآن غير صحيح .. لأنه أين

(١) الكهف : ٥١

المضلون ؟ ولو وجد المضلون وتناولوا قضية أخرى غير خلق السموات والأرض وخلق الإنسان .. لقلنا : إن القرآن غير صحيح .. لأنه يوجد من يضل عن سبيل الله .. ولكنه لا يتناول فيما يقوله قضية خلق السموات والأرض .. ولا قضية خلق الإنسان .. ولكن كون المضلين جاءوا وكونهم تحدثوا عن قضية خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم .. وهل المادة قبل الروح ؟ أم الروح قبل المادة ؟ كون هؤلاء جاءوا .. وكونهم تناولوا قضية خلق السموات والأرض .. وخلق الإنسان .. فهذا إثبات لما جاء في القرآن عنهم .. وكان هؤلاء المضلين الذين جاءوا ليصدوا عن سبيل الله .. إنما قدموا خدمة كبيرة لل دعوة الإسلامية .. وللقرآن .. بأنهم أثبتوا بكفرهم صحة القرآن .. وصحة آياته .. ترى إعجازا أكثر من ذلك ؟ يستخدم الله الكفار الذين يضلون عن سبيله .. ويحاولون تكذيب القرآن .. يستخدمهم الله سبحانه وتعالى ليقوموا وهم لا يدرون بإثبات صحة الدين الذي يحاولون أن يهدموه .. وبإثبات وجود الله سبحانه وتعالى .. وهم يريدون أن ينكروه .. فيقول في قرآن نزل منذ أربعة عشر قرنا : إن هناك من سيأتى ليضل عن سبيل الله .. ويتخذ من قضية خلق السموات والأرض والإنسان مادة لهذا الإضلال .. وكل ما سيقولونه هو غير الواقع .. وأنا أنفى من الآن ما سيقولونه بعد مئات .. أو ألوف السنين .. وأقول لكم إنه غير صحيح . إذن فكون هؤلاء المضلين جاءوا إثبات للقرآن .. وكون أنهم قالوا غير الحق ولم يستطيعوا أن يدللوا عليه

عمليا .. واخذوا يطلقون نظرياتهم .. كل نظرية تهدم الاخرى إثبات  
 آخر وهم يجتهدون في محاولة هدم منهج الله ونحن نقول لهم إنكم تثبتونه ..  
 لأن الله أخبرنا عنكم في القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. وقال إنكم  
 ستأتون .. وستفعلون كذا وكذا في محاولة لتضليل الناس .. وهدم  
 القرآن .. أتري الإعجاز .. في استخدام الكفار لتثبيت قضية الإيمان في  
 الكون ؟

## العلاقة بين جسد الإنسان والقشرة الأرضية الخصبة

إذن فخالق الإنسان هو الله .. وخالق السماوات والأرض هو  
 الله .. وهذا أمر غيبي نأخذه عن خلق .. إلا أن الحق سبحانه وتعالى  
 حين يعرض قضية غيبية . فإنه ينير طريق العقل دائما بقضية نحسها  
 ونشهدها .. تقرب القضية الغيبية التي يتحدث عنها .. فالله خلقني من  
 تراب .. من طين .. من حمأ مسنون .. من صلصال كالفخار .. ثم  
 نفخ فيه من روحه .

إذا أخذنا التراب .. ثم نضيف إليه الماء فيصبح طينا .. ثم يترك  
 لتفاعل عناصره فأصبح حمأ مسنوناً كالذي يستخدمه البشر في  
 صناعاتهم .. ثم يجف فيصبح صلصالا .. هذه أطوار خلق الجسد  
 البشري .. والبشر تم خلقهم من الطين .. من الأرض ..

فإذا جئنا للواقع .. فلنسأل أنفسنا : الإنسان مقومات حياته من  
 أين ؟ من الأرض .. من الطين .. هذه القشرة الأرضية الخصبة هي التي

تعطى كل مقومات الحياة التي أعيشها .. إذن فالذى ينمى المادة التي خلقت منها هو من نفس نوع هذه المادة .. وهى الطين .. ولقد حلل العلماء جسد الإنسان فوجدوه مكونا من ستة عشر عنصراً .. أولها الأوكسيجين .. وآخرها المنجنيز .. والقشرة الأرضية الخصبية مكونة من نفس العناصر .. إذن عناصر الطين المخصب هى نفس عناصر الجسم البشرى الذى خلق منه .. هذا أول إعجاز .. وهذه تجربة معملية لم يكن هدفها إثبات صحة القرآن أو عدم صحته .. ولكنها كانت بحثاً من أجل العلم الأرضى .

### الموت دليل على الحياة لأن الموت نقض لها :

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى .. من الموت دليلاً على قضية الخلق .. فالموت نقض للحياة .. أى إن الحياة موجودة .. وأنا أنقضها بالموت .. ونقض كل شىء يأتى على عكس بنائه .. فإذا أردنا أن نبني عمارة نبدأ بالدور الأول .. وإذا أردنا أن نهدمها نبدأ بالدور الأخير .. إذا وصلت إلى مكان وأردت أن أعود .. أبدأ من آخر نقطة وصلت إليها .. إنها تمثل أول خطوة فى العودة .. ونحن لم نعلم عن خلق الحياة شيئاً .. لأننا لم نكن موجودين ساعة الخلق .. ولكننا نشهد الموت كل يوم .. والموت نقض الحياة إذن هو يحدث على عكسها .. أول شىء يحدث فى الإنسان عند الموت . أن الروح تخرج .. وهى آخر ما دخل فيه .. أول شىء خروج الروح .. إذن

آخر شيء دخل في الجسم هو الروح .. ثم تبدأ مراحل عكس عملية الخلق .. يتصلب الجسد .. هذا هو الصلصال .. ثم يتعفن فيصبح رمة .. هذا هو الحمأ المسنون .. ثم يتبخر الماء من الجسد ويصبح الطين ترابا .. ويعود إلى الأرض .. إذن مراحل الإفناء التي أراها وأشهدها كل يوم هي عكس مراحل الخلق .. فهناك الصدق في مادة الخلق .. والصدق في كيفية الخلق .. كما هو واضح أمامي من قضية نقض الحياة .. وهي الموت ..

### الحياة نفخ من روح الله

شيء آخر .. يقول الله سبحانه وتعالى **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** (١) . ومعنى النفخ أى نفس .. أى إن هناك نفسا خرج من النفخ إلى المنفوخ فيه .. فبدأت الحياة .. وبماذا تنتهى الحياة بخروج هذا النفس .. فأنت إذا شككت في أن أى إنسان قد فارق الحياة .. يكفي أن يقال لك: إنه لا يتنفس .. لتأكد يقينا أنه مات إذن دخول الحياة إلى الجسد هو دخول هذا النفس .. مصداقا لقوله تعالى **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** .. وخروجها هو خروج هذا النفس فالمسألة يقينا كما قال الله ..

(١) الحجر (٢٩) .

## معجزة القرآن في إخباره بعلم الأجنة

وإذا كنا نريد إعجازاً أكثر .. فلننظر ماذا قال القرآن في علم الأجنة .. علم تكوين الجنين في بطن أمه .. هل تناول أحد هذه المسألة قبل القرآن أو عصر القرآن .. أو بعده بفترة .. أبداً .. أول من تحدث عنها هو القرآن وأعطاني ما هو غائب عني .. لأن خلقى هو غيب عني .. فكون الله سبحانه وتعالى يأتي في قرآنه ويعطينى مراحل تكوين الجنين .. فهذه آية من آيات عظمته وقدرته .. وعلمه .. يقول الله في أطوار الجنين : **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً** في قرارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَرْنَا الْعِظْمَ رِجْجًا** (١)

علم الأجنة ما عرفه الناس إلا حديثاً .. والقرآن كما قلت كلام متعبد بتلاوته .. لا تبديل فيه ولا تغيير .. أى أن القضية التي يذكرها ستبقى كما هي إلى آخر الدنيا .. فعندما يأتي القرآن ويخبر بهذا فكأنه يتحدى العلم والعلماء .. إلى يوم القيامة .. يقول لهم هذا هو تكوين الجنين في بطن أمه .. وأنا أذكره لكم وأذكر مراحلها بالتفصيل .. لم يشهده أحد من البشر حتى ساعة نزول هذا القرآن .. ولا حتى بعد نزوله بمئات السنين .. ولكنى أسجله لتعلموا عندما أعطيتكم من العلم ما تستطيعون به معرفة أطوار الجنين .. أن القائل هو الخالق .. لأنه لا يمكن لأحد أن يقول هذا الكلام .. وأن يتحدى بصحته على مر العصور

(١) المؤمنون (١٣، ١٤) .

وأن يخترق الحجب ليروى شيئا لم تكن البشرية تعرفه أو تعلم به .. إلا أن يكون ذلك هو الله .. وإلا فكيف يأمن أى إنسان ؟. أى بشر مهما بلغ من العلم .. كيف يأمن أنه بعد عشرات السنين .. أو مئات السنين .. لن يأتى ما يناقض هذا الحديث . وما يثبت عدم صحته ؟.

فإذا لم يكن الحديث هنا عن الله .. وإذا لم يكن عن يقين كامل .. فكأن القرآن قد أعطى معه وسيلة هدمه .. كان يكفى أن يقول إنسان إن القرآن يقول هذا عن أطوار الجنين .. وقد أثبت التقدم العلمى أنه غير صحيح .. كان يكفى أن يقال هذا ليهدم قضية الدين من أساسه .. ويكون القرآن قد أعطى للكفار أقوى سلاح يهدمونه به .. فالذى كشف علم الأجنة متأكد تماما أن ما يقوله هو الحق .. وأن تطور العلم مهما جاء فانه لن يأتى ليناقض هذا الكلام .. ولقد أثبتت أحدث البحوث عن الجنين .. صحة ما ذكره القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. ولم يختلف عنه .. فى أى تفصيل من التفاصيل .. رغم أن هذا كان أمرا غيبيا .. وأمرا لم يتحدث عنه أى إنسان قبل أن يأتى القرآن .. ومع ذلك فقد ذكره القرآن بالتفصيل .. وحدد أطواره .. وجاء العلم بعد ذلك ليثبت هذه الحقيقة .. إذن فلا بد أن قائل القرآن هو الله .. لأن الذى يعلم يقينا هو الله وحده ..

## آيات الله في الأرض مراكز الإحساس بالجلد

نأتى بعد هذا إلى نقاط سأمر عليها بسرعة .. لأن آيات الله كثيرة جدا في الأرض .. وكلها تنطق بإعجاز القرآن .. يقول الله سبحانه وتعالى **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** (١) هذه الآية عن الكفار يوم القيامة .. والهدف منها هو أن يقول الله: إن العذاب سيستمر في الآخرة .. وكانوا يقولون: إن مراكز الإحساس موجودة في المخ .. وإن الجلد ليس فيه مراكز إحساس .. كان هذا هو الحديث حتى فترة وجيزة .. أما أيام نزول القرآن فلم يكن أحد يعرف شيئا عن ذلك على الإطلاق .. فيأتى الله سبحانه وتعالى ويقول **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** (١) . فكان العذاب له صلة بالجلد .. والإحساس بالعذاب يأتى من الجلد .. ثم يكتشف العلم أخيرا أن مراكز الإحساس بالألم موجودة فعلا في الجلد .. وهى التى تحس بالعذاب (٢) .

(١) النساء (٥٦) .

(٢) يؤكد العلم الحديث أن كل سنتيمتر في الجلد يستقبل ٨٠٠ مؤثر ، والأذن والعين كل منهما يستقبل ١٨ مؤثرا ولو زاد العدد فقد الإحساس .



## الذرة

ونأتى إلى القرآن فنجده ربما كان أول كتاب في العالم كله ..  
أخبر : أنه يوجد شيء أصغر من الذرة .. فيقول سبحانه وتعالى

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (١) لأن الذرة هي أدق ميزان في

العالم .. ثم يأتي في آية أخرى ويقول عن الذرة

وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ (٢) إذن فهناك

شيء أصغر من الذرة .. وهذا الشيء مقيد في كتاب عند الله  
ومكتوب ..

## ديمومة ذكر الله

ويقول الله فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ (٣) أى مشارق  
وأى مغارب ؟ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كل ما  
يعرفه الناس عن الشمس أنها تشرق من مكان .. وتغرب من مكان  
آخر .. فيقولون مثلاً الشمس تشرق من ناحية هذا الجبل .. وتغرب  
من ناحية هذه الشجرة .. ولكن الآن كل بلد له مشرق ومغرب ..

(١) الزلزلة (٧ ، ٨) .

(٢) يونس (٦١) .

(٣) المعارج (٤٠) .

فالشمس عندى تشرق من ناحية الجبل .. وبعد دقائق تشرق فى بلدة  
أخرى .. وبعد دقائق فى بلدة ثالثة .. وبعد دقائق فى بلدة رابعة ..  
وهى تغرب من هناك وبعد دقائق تغرب من بلدى .. وبعد دقائق  
تغرب من بلدة مجاورة .. أى أن لها مشارق ومغارب .. والصلاة  
مثلا .. الصلاة مستمرة فى الأرض ليلا ونهارا .. توقيت الظهر مثلا  
عندى .. وبعد دقائق فى بلدة أخرى .. وبعد دقائق فى بلدة ثالثة ..  
ونصف الأرض نائم .. والنصف الثانى يسبح الله .. بعض الناس  
يصلون الفجر .. وفى نفس اللحظة غيرهم يصلون الظهر .. وفى  
نفس اللحظة غيرهم يصلون العصر .. وفى نفس اللحظة غيرهم  
يصلون العشاء .. الصلاة هنا فى القاهرة مثلا وبعد دقيقتين فى بنها ..  
وبعد دقيقتين آخرين هى فى دمنهور .. وبعد دقيقتين هى فى  
الإسكندرية .. وبعد دقيقتين أو ثلاث هى فى بلد آخر .. وهكذا ..  
بحيث لا ينقطع عن العالم اجمع ثانية واحدة ليست فيها ذكر الله .

## من إعجاز القرآن

يأتى الله سبحانه وتعالى ليرينا كيف يعالج قضية أخرى ..  
يعالجها بما يناسب عقول الذين عاصروا نزول القرآن إلى الأرض ..  
وتفكير كل الأجيال القادمة .. يأتى فيقول **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ  
لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً** أى إنه وهو يتحدث عن نعمة قد حدد للإسوان

(٢) النحل : (٨)

ما خلقه له ليساعده على التنقل في الأرض .. ولكن هل هذا هو نهاية المطاف ؟ لو أننى أفكر بتفكير ذلك العصر .. العصر الذى نزل فيه القرآن .. لقلت إنها نهاية المطاف .. ولكن الله يعلم أن الإنسان سيركب السيارة والصاروخ والطائرة .. وأن كل جيل سيختلف عن الجيل الآخر بوسائل التنقل .. فكيف يسجل ذلك دون أن يقول ما هو فوق عقول الناس في ذلك الوقت .. مما قد يذهب الإيمان في نفوسهم ؟ يقول الله سبحانه وتعالى : **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ**

**مَا لَا تَعْلَمُونَ** (١)

أترى بلاغة القرآن .. قد سجل علم الله وفي نفس الوقت احتفظ به غيبا على الذين عاصروا نزول القرآن .. **وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** .. هنا معناها أن ما ذكرته ليس نهاية المطاف .

ولذلك فأنا أقول لكم من الآن إن هذه هى وسائل تنقلكم .. ولكنى سأخلق في الأجيال القادمة ما لا تعلمون أنتم .. وسأخلق للأجيال التى بعدها ما لا تعلمه الأجيال القادمة .. وهكذا إلى نهاية الدنيا .. ومن هنا فقد سجل القرآن التطور الذى سيحدث .. وفي نفس الوقت احتفظ بعبارة في مستوى العصر الذى نزل فيه ..

## عنصر الذكر والأنثى في الرجل

وتأتى الدنيا كلها .. فتتهم النساء بأن هن دخلا في أن يلدن إناثا ويلدن ذكورا .. ويخبر الله سبحانه وتعالى أنه خلق الإناث والذكور

(١) النحل : (٨)

من نطفة الرجل .. وليس للمرأة دخل في ذلك « وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ  
 الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى <sup>(١)</sup> .. ثم يأتي العلم أخيرا ..  
 ويكتشف هذه الحقيقة الكونية .. ويعلن أن عنصرى البشرية الذكر  
 والأنثى موجودان معا في الرجل .. وأن تحديد النوع يأتي من الرجل  
 وليس للمرأة دخل فيه ..

### دعوة القرآن إلى إمعان النظر في الكون

والله سبحانه وتعالى يقول وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ <sup>(٢)</sup> ﴿١٠٥﴾

أى إن هناك أشياء عجيبة خلقها الله في السموات والأرض تتطلب  
 من الإنسان أن يمعن <sup>(٣)</sup> النظر فيها .. ولكنه لا يمعن فيها النظر .. رغم  
 أن الله سبحانه وتعالى طلب منا أن نمعن النظر في آياته .. وأن  
 نستخدم نشاطات الذهن في اكتشاف نشاطات الكون ..

(١) النجم (٤٥ - ٤٦)

(٢) يوسف : (١٠٥)

(٣) يمعن : يدقق .

## مناقشة الفصل الثاني

- ١ - « إنما يخشى الله من عباده العلماء »  
اشرح الآية وبين ما يقصده المفسر من كلمة « العلماء »
- ٢ - « عندما نبحث عن الروح والمادة نتجاوز علم الأرض ، لأنها مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشرى إلى نتيجة » .  
( أ ) ما الفرق بين الروح والمادة ؟ وما العلاقة بينهما ؟  
( ب ) لماذا نتجاوز علم الأرض بالبحث في هذه القضية ؟  
( ج ) ما المرجع الحقيقي في قضية الروح والمادة ؟
- ٣ - ضع علامة ( ✓ ) أمام العبارة الصحيحة .  
( أ ) العلم الإنساني علم محدود .  
( ب ) ليس للإنسان حرية البحث في العلوم الغيبية .  
( ج ) الموت نقيض الحياة ولكنه ليس دليلاً على الحياة .  
( د ) القرآن يتحدث عن التطور العالمى فى المواصلات بدون تحديد .

٤ - قال تعالى :

( أ ) « كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب »

( ب ) « ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين »

( ج ) « فلا أقسم برب المشارق والمغرب »

اذكر مواطن الإعجاز القرآني في الآيات السابقة .

## الفصل الثالث

# القرآن والعلم

مقدمة :

[الإعجاز في القرآن هو استخدام الألفاظ التي تعبر بدقة عما يريد .. ولا تتصادم في مفهومها مع أي عصر .. يقول الله « والأرض مددناها .. وذلك مطابق لما تراه العين منذ الأزل .. بأن الأرض مبسوطة .. ولكنه في نفس الوقت أكبر دليل على كروية الأرض .. ووصف الجبال أنها تمر من السحاب .. يؤكد لنا أن الجبال لا تتحرك بذاتها .. بل تدور بحركة الأرض .. تماما كالسحاب لا بد أن تدفعه الرياح ليتحرك .. وعندما يقول الله « ولا الليل سابق النهار » فهو ينفي أن يسبق النهار الليل .. أو يسبق الليل النهار .. أي بينهما موجودان معا على سطح الكرة الأرضية .. لا مباح بينهما .. وعندما يتحدث القرآن عن الذرة .. فإنه يذكر ما هو أصغر من الذرة قبل أن يعرفه العالم .. ]

عندما نزل القرآن كان له أكثر من معجزة .. تحدى العرب في بلاغتهم .. ثم مزق حواجز الغيب الثلاثة .. مزق حجاب الزمن الماضي وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث زمن سبقنا من الأمم .. وتحدى فيها .. ثم مزق حجاب المكان .. وروى لنا ما يدور

داخل نفوس الكفار والذين يحاربون الإسلام وما يبيتون للمسلمين ..  
 روى لنا ما يدور داخل نفوسهم .. ولم تنطق به شفاههم .. ولم يجرؤ  
 واحد منهم أن يكذب القرآن ويقول لم تهمس نفسى بهذا .. ثم مزق  
 حجاب المستقبل القريب .. وتنبأ بأحداث ستقع بعد شهور ..  
 وبأحداث ستقع بعد سنوات .. وتحدى .. وحدث كل ما أنبأ به  
 القرآن .. هذا ما بينته في الفصل السابق بالتفصيل .. وضربت  
 الأمثلة عليه ..

### القرآن لم يذكر المعجزات المستقبلية بالتفصيل

مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد .. ليعطى الأجيال القادمة  
 من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله ..  
 ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلية جاءت  
 تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين .. وانصرف آخرون .. ذلك أن  
 الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت .. ومن هنا وحتى لا  
 يخرج المؤمن عن إيمانه ويستمر الإعجاز .. جاء القرآن بنهايات  
 النظريات .. بقمة نواميس الكون .. إذا تليت على المؤمنين في ذلك  
 الوقت .. مرت عليهم .. ولم ينتبهوا إلى مدلولها الحقيقي العلمي ..  
 وإذا تليت بعد ذلك على الأجيال القادمة .. عرفوا ما فيها من  
 إعجاز .. وقالوا إن هذا كلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ  
 آلاف السنين .. إذن لابد أن هذا القرآن حق من عند الله .. وأن  
 قائله هو الله الخالق .



بقيت نقطة .. هل يأتي هذا في الأحكام؟ الجواب : لا .. ان  
أحكام الدين افعل ولا تفعل نزلت كاملة واضحة لا لبس فيها  
ولا إضافة عليها ولا تبديل ولا غموض .. منهج الله كامل فسرته  
الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية .. وشرح وفسر في عهد  
الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيراً كاملاً .. بحيث أصبح واضحاً  
لكل إنسان يريد أن يعبد الله وأن يعيش في الأرض طبقاً لقوانين الله :  
افعل ولا تفعل .. جاءت واضحة وكملت وفسرت في عهد  
الرسالة .. وأصبح الحلال بينا .. والحرام بينا .. والدين بينا .

أما آيات الله في الكون .. فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيراً كاملاً في  
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .. حتى لا تكون ملزمة  
للمسلمين .. لماذا؟ . لأن لها عطاء يتجدد في كل الأجيال .. وهذه  
الآيات هي التي سنتحدث عن بعضها ..

من آيات الله في الكون :

( أ ) الإعجاز اللغوي :

لقد تحدى القرآن العرب بالإعجاز في اللغة .. طلب أن يأتوا  
بمثل القرآن .. ثم زاد في التحدي وقال بسورة من مثله ..

( ب ) الإعجاز العلمي :

ولكن التحدي للعالم لا يمكن أن يكون باللغة .. فاللغات مختلفة ..  
إذن بماذا تحداهم؟ بالعلم .. وكان التحدي مطلقاً إلى يوم الدين .. قال أنتم

جميعا لن نستطيعوا أن نخلقوا شيئا حتى نهاية العالم.. ثم تحداهم بخلق  
 ماذا؟ بخلق كون كالذي خلقه؟ لا.. بخلق مجموعة شمسية من  
 عشرات المجموعات الشمسية الموجودة في الكون؟ لا.. بخلق شمس  
 أو قمر أو نجم؟ لا.. إذن تحداهم بخلق الكرة الأرضية مثلا..  
 أبدا.. لا بد أنه تحداهم بخلق الإنسان.. أبدا..

## ١ - التحدي بخلق ذبابة :

لقد تحداهم أن يخلقوا ذبابا.. وكأنه يقول إنني أنا الله أقول لكم  
 سأعطيكم من العلم.. وأريكم آياتي في الآفاق.. ولكنكم لن تخلقوا  
 ذبابة.. ولو اجتمع لذلك كل علماء الأرض في كل العصور.. وهكذا  
 تحدى الله البشرية كلها إلى يوم القيامة بأن يخلقوا ذبابة.. وقال: إن العلم  
 الذي ستعبدونه من دون الله.. والذي ستؤمنون به.. هذا العلم وكل  
 القائم عليه.. لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا..

**إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا**  
**وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ (١) ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ضَعْفُ الطَّالِبِ**  
**وَالْمَطْلُوبِ (٢) وَأَضَافَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (٣) وَالْعَجِيبُ أَنْ**  
 الإنسان قد وصل إلى القمر.. وقد يصل إلى المريخ.. وقد يستكشف  
 أبعد من ذلك.. ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن..  
 وهو طلب ضعيف جدا بالنسبة لقدرة الله سبحانه وتعالى في خلق  
 ملايين الكائنات ولذلك قال الله **ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ**

(٣) الحج : (٧٣)

(٢) الحج : (٧٣)

(١) الحج : (٧٣)

## ٢ - التحدى باستمرار الحياة بالماء :

ثم أضاف سبحانه وتعالى **مَا كَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** أى إن قدرة الله سبحانه وتعالى تفوق كل الحدود والتصورات التى قد ترد على خواطركم .. وأنتم لا تعرفون قدرة الله .. ثم تحدى الله بعد ذلك فى قرآنه .. تحدى باستمرار الحياة .. الماء الذى خلق منه كل شيء حتى .. قال الله تعالى : **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾** (١) وقال تعالى « وينزل الغيث » أى إن الله سبحانه وتعالى هو الذى يرسل إليكم الأمطار .. والماء يأتى مدارا ليسقى الدنيا كلها .. البشر والطيور والوحوش والزرع وكل شيء حتى .. هذا الماء الذى تعب منه البشرية كلها عبا .. تجد الإنسان عاجزا عن أن يصنع نهرا .. مع أن عناصر تكوين الماء موجودة فى الكون .. أمام العلماء .. والمساحات الشاسعة من الصحارى فى الأرض محتاجة إلى قطرة ماء ..

## ٣ - التحدى بعدم الهروب من الموت :

ثم تحدى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك .. تحديانا بأن نهرب من الموت .. قال **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ ﴿٢﴾** أى إن الله سبحانه وتعالى يتحدى .. مهما وصلتكم إلى العلم .. فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت .. إنكم تقولون فى العلم

(٢) النساء : (٧٨) .

(١) الواقعة : (٦٨ ، ٦٩) .

الأرضى إن الموت يحدث بسبب جرائم كذا وأمراض كذا إلى آخره .. حسنا .. شيدوا برجاً وضعوا فيه إنساناً .. وأبعدوا عنه كل المخاطر التى فى رأيكم وفى نظركم وفى علمكم تسبب الموت .. فلا هو يحارب ولا يمشى فى أى مكان ليصاب فى حادث .. فلا يستنشق هواء ملوثاً بل يستنشق هواء نقياً .. ويأكل من طعام مطهر على أحدث الوسائل الصحية .. ويشرب من ماء ليس فيه جرثومة واحدة .. والجو الذى يعيش فيه منقى إلى آخر درجات العلم .. هنا نكون قد أبعدا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التى نعرفها .. ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الأسباب الظاهرية للموت .. الجواب طبعاً مستحيل .. لأن الله هو الذى يحيى ويميت .. والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الله ..

٤ - التحدى بالمغيبات الخمس :

ثم تحدى الله العالم كله فى القرآن بخمس مغيبات ..

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ رِعْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ

وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (١)

تحدى الله بهذه المغيبات .. تحدى البشر جميعاً .. فكان القرآن كما

(١) لقمان : (٣٤) .

تحدى العرب في اللغة عندما نزل .. حمل تحديات للعالم أجمع .. وقال لهم : إنكم لن تصلوا إلى كذا وكذا إلى آخره .. عشرات التحديات التي ساقها القرآن للبشرية جميعا .. قال لن تصلوا إلى كذا .. لن تفعلوا كذا لن تخلقوا كذا .. وكانت هذه التحديات لكل البشرية .. ولكل العصور ..

### القرآن أخبرنا بحقائق الكون

وبعد أن تحدى الله البشر جميعا .. قال : **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي**

**الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** <sup>(١)</sup> لم يقل سنريهم

آياتنا في الأرض .. ولا في الأفق .. بل قال « في الأفاق »

أى إن الله سبحانه وتعالى سيكشف لعباده بعضا من آياته ليتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق .. وكيف يتبين لهم أنه الحق .. ذلك أن حقائق الكون التي سيصلون إليها بعد مئات السنين أو آلاف السنين بنشاطات الذهن .. سيجدون القرآن قد أشار إليها .. وحينئذ يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق .. لأن الذي قال هو الله .. والذي خلق هو الله .

ومن هنا جاء في القرآن أن الأرض كروية .. وأنها تدور .. وجاء فيه كيفية خلق الإنسان .. وكيف تعلم الكلام .. وجاء فيه أن هناك ما هو أصغر من الذرة .. وجاء فيه وصف دقيق لما يحدث للجنين وهو في بطن أمه .. وجاء فيه أن الليل والنهار يوجدان على الأرض معا .. وحقائق أخرى كثيرة لا يتسع المجال للحديث عنها :

(١) فصلت : (٥٣) .

## تحديد معنى العلم :

على أننا قبل أن نمضي في هذا الموضوع يجب أن نحدد معنى العلم ..

فأنت حين تحدثني عن حقيقة علمية أسألك هل هي واقعة؟ فإذا قلت نعم أسألك : أنت جازم بها؟ فإذا قلت نعم .. أسألك : هل تستطيع التذليل عليها؟ فإذا قلت نعم .. فهذا هو العلم .

فالعلم نسبة واقعة مجزوم بها وعليها دليل .. ولكن افرض أنني جازم بالنسبة وهي ليست واقعة .. هذا هو الجهل .. نسبة مجزوم بها وهي غير واقعة .. وآفة<sup>(١)</sup> الدنيا كلها الجهل .. فالذي لا يعرف نسبة أو حقيقة علمية يمكن أن يتعلمها .. ولكن المصيبة في ذلك الذي يجزم أو يصدق في قضية كاذبة .. ثم يقيم الدنيا محاولاً أن يدل على شيء غير حقيقي .. وهذا ما تعالی منه البشرية ..

## الفرق بين القرآن والعلم :

وإذا تحدثنا عن القرآن والعلم .. فإن العلم هنا المراد به علم البشر الذي يوجد في زوايا الكون المتعددة .. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا<sup>(٢)</sup> ونحن أحياناً ندعى حقيقة علمية .. وهي ليست حقيقة علمية .. أو ندعى حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية ..

(١) آفة : مرض .

(٢) لزوم : (٧) .

الأولى إدعاء حقيقة علمية وهي مجرد نظرية وتخمين .. أمر سهل معروف .. فعشرات من النظريات العلمية ثبت خطأها بعد فترة .. وكانت تمثل مجرد ظن وتخمين .. ولكن ادعاءنا حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية .. ما هو؟ مثلاً يأتي إنسان ويقول الأرض مبسوطة .. ويستدل على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى يقول **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا** (١) أى بسطناها .. لأن المد هو البسط .. ولقد فهم أن هذه حقيقة قرآنية حتى إنه بعد أن خرج الإنسان خارج الغلاف الجوى للأرض ورآها كروية .. فإن هذا الرجل يرفض تصديق العلم .. ويقول لا .. الأرض مبسوطة .. هكذا قال القرآن .. وكل ما عدا ذلك كفر نقول له : إنك أخطأت في فهم الحقيقة القرآنية .. وإن الدليل الذى أتيت به لا يخدم ما تدعيه .. بل هو ضد ما تدعيه .. فالأرض إن كانت مبسوطة لا تخرج عن أشياء .. إما مربعة .. وإما مثلثة .. وإما مستطيلة .. وإما متوازية .. وإما شبه منحرف .. أو شكل مختلف الأضلاع .. وباختصار أترك لك أن تتصور أى وضع للأرض غير وضع الكرة .. أو شكل الكرة .

إذن ما دامت الأرض مسطحة .. فلا بد أن يكون لها حيز .. فإذا جئت في آخر السطح .. لابد أن تصل إلى حافة .. ولكن الله سبحانه

(١) الحجر : (١٩) ، قى : (٧) .

وتعالى يقول **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا** ومعنى مددناها أنك أينما ذهبت فوق سطح الكرة الأرضية .. تراها ممدودة أمامك .. أي منبسطة أمامك .. فإذا ذهبت إلى القطب الشمالي رأيت الأرض منبسطة .. وإذا ذهبت إلى القطب الجنوبي رأيت الأرض منبسطة .. وإذا ذهبت إلى خط الاستواء وجدت الأرض أمامك منبسطة .. في أي مكان تذهب إليه ترى الأرض منبسطة .. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية ..

إذن فقول الله سبحانه وتعالى **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا** دليل على كروية الأرض .. ولكن إنساناً أخطأ وفسر ذلك اللفظ على أنه دليل على أن الأرض مبسوطة .. وخرج من ذلك بأن هذه حقيقة قرآنية .. وهي ليست حقيقة قرآنية فإذا ثبت أن الأرض كروية بدا تعارض وهمي بين حقيقة كونية .. وحقيقة قرآنية .. وهنا يبرز دور الجهل في محاولة النيل من كتاب الله .. ولو تعمق بعض الناس قليلاً لعرفوا أن كروية الأرض ودوران الأرض موجودان في القرآن .. وهذا ما سنعود إليه في موضع آخر ..

**« مَا عَامَةٌ فِي « وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ » :**

كذلك مثلاً قول الله سبحانه وتعالى **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ** (١) يأتي إنسان ليقول إن معنى ويعلم ما في الأرحام .. أن الله يعلم هل الطفل الذي في بطن أمه ذكر أم أنثى .. فإذا جاء في نشاط العلم أنهم يستطيعون

(١) لقمان : (٣٤) .



بطريقة ما أن يعرفوا قبل ولادة المولود بفترة إذا كان ذكرا أو أنثى ..  
يقول بعض الناس إن « وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ » قد خرجت عن المغيبات  
الخمس التي اختص الله سبحانه وتعالى بها علمه يتحدى بها البشر  
أجمعين .. ويبدأ هنا الجدل .. ولكن السؤال الذي كان يجب أن يوجه إلى  
قائل هذا الكلام هو : من الذي أخبرك أن معرفة نوع الجنين إذا كان  
ذكرا أو أنثى هو معنى الآية الكريمة « وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ » من الذي  
حصر كلمة ( ما ) في ذكر أو أنثى ؟ وهي مطلقة على العموم .. أنك  
ادعيت أن ( ما ) هي ذكر أو أنثى .. وقلت : إنها الحقيقة القرآنية ..  
ولكن مدلول ( ما ) أكثر من ذلك كثيرا .. ذكر وأنثى حقيقة ..  
وطويل أم قصير حقيقة أخرى .. وأسمر أو أبيض أو أشقر حقيقة ثالثة ..  
وسعيد أو شقي حقيقة رابعة .. وذكي أو غبي حقيقة خامسة .. وكم  
سيبقى في الحياة ؟ وما هو عمره ؟ حقيقة سادسة ، ومريض أم معافى ؟ حقيقة  
سابعة ؟ واستطيع أن أمضي إلى مئات .. بل وألوف الحقائق التي عبر الله  
سبحانه وتعالى عنها بكلمة ( ما ) في الآية الكريمة « وَيَعْلَمُ مَا فِي  
الْأَرْحَامِ » .

### لا تصادم بين القرآن والعلم

إذن فالتصادم لا يحدث بين حقائق الكون والقرآن وإذا كان هناك  
تصادم .. فإنه يوجد عندما ندعى حقيقة علمية في الكون .. وهي ليست  
حقيقة علمية .. أو ندعى حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية  
لا يمكن أن يصادم أبدا بحقيقة علمية ثبتت بالتجربة .. لأن قائل القرآن  
هو الله والفاعل هو الله .

إذا انتهينا إلى ذلك .. يكون علينا أن نوضح نقطة صغيرة قبل أن  
نمضي في حديثنا .. إن الذين يقولون: إن القرآن لم يأت ككتاب  
علم .. صادقون .. ذلك أنه كتاب أتى ليعلمني الأحكام .. ولم يأت  
ليعلمني الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة .. وفي نفس الوقت عندما  
نقول إن القرآن ذكر لي معجزات لم يصل إلى بعضها العلم حتى  
الآن .. فهذا صحيح أيضا .. إن هذه المعجزات هي ما تنهى إليه  
حقائق الكون .. فالقرآن وإن لم يأت ليعلمني الطب مثلا .. إلا أنه  
يأتي فيمس قضية طبية يخبرني بدقائقها .. ولا يصل إليها علم الطب إلا  
بعد مئات السنين أو ألوف السنين .. يأتي في الجغرافيا مثلا ويمس  
قضية هامة لا نعرفها إلا بعد مئات السنين .. وكذلك في كل علوم  
الدنيا .. أي إن ما ينتهي إليه من الحقائق .. قضايا الكون الأساسية ..  
الحقائق التي خلق على أساسها الكون يمسه القرآن على أنها حقائق  
علمية سواء وصلت إليها أنت بالعلم أم لم تصل .. ولنبدأ باستعراض  
بعض من هذه الحقائق :

**بعض الحقائق العلمية التي مسها القرآن الكريم :**

**الحقيقة الأولى :** كروية الأرض .. وأعتقد أنه في عهد النبي  
صلى الله عليه وسلم لم يكن أحد من البشر يعرف شيئا عن كروية  
الأرض .. أو لم يكن ذلك قد وصل إلى علم أحد .. وهنا يأتي القرآن  
ويقول « والأرض مددناها » ويلاحظ دقة تعبير القرآن في ألفاظه ..  
لقد اختار اللفظ الوحيد المناسب للعصر الذي نزل فيه والعصور

القادمة فكلمة مددناها تعطى المعنى للثنين معا .. عندما يقول  
**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا** أى بسطناها .. لا تنشأ مشكلة لأن الأرض  
تظهر أمام الناس منبسطة في ذلك الوقت .. فإذا مر الزمن وثبت أن  
الأرض كروية .. نجد هذا اللفظ هو المناسب تماما الذى يصف لنا  
بدقة كروية الأرض .

ثم نتأمل قول الله تعالى « **يُكْوِرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ** » (١) لماذا  
استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة يكور ؟ وكلام القرآن الصادر عن  
الله دقيق في تعبيره دقة متناهية .. لماذا استخدم الله لفظ يكور .. ولم  
يقول يبسط الليل والنهار .. مادامت الأرض منبسطة .. أو يغير الليل  
والنهار .. أو أى لفظ آخر ؟ إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة ..  
فتقول إنك كورت هذا القماش مثلا .. أى جعلته يأخذ شكل الكرة  
الملفوف حولها .. وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئا على شكل  
كرة .. فتقول له خذ هذا وكوره .. أى اصنعه على شكل كرة ..  
ومعنى قول الله تعالى يكور الليل على النهار .. أى يجعلهما يحيطان  
بالكرة الأرضية .. ومن إعجاز القرآن إن الليل والنهار مكوران حول  
الكرة الأرضية في كل وقت .. أى إن الله لم يقل يكور الليل ثم يكور  
النهار .. ولكنه قال يكور الليل على النهار واستخدام كلمة « على » هنا  
تستحق وقفة .. لتصور مدى انطباقها على كروية الأرض .. **يُكْوِرُ  
اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ** ومعناه أنهما موجودان في نفس الوقت حول الكرة

(١) الزمر : (٥) .

الأرضية وهذا ما نبأ به القرآن منذ أربعة عشر قرناً ولم يصل إلى علم  
البشر إلا في الفترة الأخيرة .

وقضية كروية الأرض مسها القرآن في أكثر من مكان .. لماذا؟  
لأنها حقيقة كونية كبرى ..

٢ - الحقيقة الثانية : إن الليل والنهار موجودان في وقت واحد على  
سطح الكرة الأرضية .. ثم نتأمل بعد ذلك قوله سبحانه وتعالى « ولا  
الليل سابق النهار » ما معنى الآية الكريمة ولا الليل سابق النهار ..  
معناه أنه يرد عليهم في قضية في عصرهم ليصححها لهم .. فهم  
يقولون إن النهار يسبق الليل .. يبدأ اليوم بشروق الشمس وينتهي  
بغروبها ، ثم يأتي بعد ذلك الليل ، أى أن النهار يسبق الليل .. فيأتى الله  
سبحانه وتعالى ويقول « ولا الليل سابق النهار » .. ومن هنا فإنه يرد  
على قولهم بأن النهار يسبق الليل قائلاً لا .. لا النهار يسبق الليل  
ولا الليل يسبق النهار .. وهذا إعلان لهم بأن الأرض كروية . وأن  
الليل والنهار موجودان في وقت واحد على سطحها .. فلو أن الأرض  
مبسوطة فإن الأمر لا يخرج على حالتين .. الحالة الأولى .. أن الله قد  
خلق الشمس مواجهة للأرض المسطحة .. وفي هذه الحالة يكون  
النهار موجوداً أولاً .. ثم يغيب الله الشمس فيأتى الليل ثانياً .. أو أنه  
خلق الشمس غير مواجهة لسطح الأرض .. وفي هذه الحالة يكون  
الليل موجوداً أولاً .. ثم تطلع الشمس على السطح فيأتى النهار ..  
لا يخرج الأمر عن هذين الشيئين .. فعندما يأتى الله ويقول « ولا الليل  
سابق النهار » أى أنه ينفي كلية أن النهار يسبق الليل .. أو أن الليل

يسبق النهار .. حيث أنهما لا يسبق أحدهما الآخر منذ متى ؟ منذ بداية خلق الأرض .. أو منذ خلق الله الأرض .. ولا يتأتى هذا في عالم الأحجام أبدا إلا إذا كانت الأرض مكورة .. فحين خلق الله الشمس والأرض أوجد الليل والنهار معا .. فنصف الأرض المواجهة للشمس صار نهارا .. والنصف الآخر صار ليلا .. ثم دارت الأرض .. فأصبح الليل نهارا .. والنهار ليلا وهكذا . إذن فالآية الكريمة **وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَابِقُ النَّهَارِ** (١) تعطيني أن الأرض مخلوقة على هذه الصورة الكروية .

### ٣ - الحقيقة الثالثة : دوران الأرض :

نأتى بعد ذلك إلى قضية أخرى .. وهى دوران الأرض .. هل يستطيع أحد أن يحكم على مكان هو جالس فيه .. والمكان كله يتحرك بما هو فيه .. إنك لا تستطيع أن تدرك أنه متحرك .. لماذا؟ .. لأنك لا تعرف حركة المتحرك إلا إذا قسته مع شيء ثابت ولا شيء ثابت لأن الأرض كلها تدور .. والمواقع فوق سطحها ثابتة .. لأننا مثلا عندما نجلس فى حجرة مغلقة تماما وهى تدور بنا جميعا .. وموقعنا عليها ثابت لا يتغير .. لا نحس بدوران هذه الحجرة إلا إذا فتحنا نافذة مثلا .. ونقيس حركة الحجرة على شيء ثابت كعمود مثلا أو شجرة (٢) ..

(١) يس : (٤٠) .

(٢) مثل راكب القطار وراكب مصعد باه من زجاج شفاف .

ومن هنا لا نستطيع أن نعرف حركة المتحرك إلا إذا قسناه إلى شيء ثابت .. ومن يستطيع أن يقيس الأرض كلها إلى شيء ثابت ليعرف حركتها .. لا أحد يستطيع .. مادمت أنا لا أدرك الحركة ..

٤- الحقيقة الرابعة: إن حركة الجبال ليست ذاتية بل تتبع حركة الأرض:

يأتى الله سبحانه وتعالى ليقول لى **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** (١) تحسبها معناه كأن ذلك حسابان وليس حقيقة .. لأن هذه الجبال التى تراها أمامك جامدة ثابتة لا تتحرك هى ليست كذلك .. فإن الله يريد أن يقول لنا إن هذه الجبال الراسخة أوتاد الأرض التى تبدو أمامك جامدة ثابتة صلبة لا تستطيع أن تفتتها أنت ولا تزيئها .. هذه الجبال الرهيبه تمر أمامك مر السحاب وأنت لا تدري .. ثم عندما تتعجب وتقول وأنت تسمع هذه الآية كيف تمر هذه الجبال مر السحاب .. وهى ثابتة أمامى هكذا لا تتحرك من مكانها؟. يقول لك الله سبحانه وتعالى .. لا تتعجب .. صنع الله الذى أتقن كل شيء .. فإن قال قائل إن هذا يحدث فى الآخرة .. فإننا نقول له إن الأرض لن تكون نفس الأرض .. وان الجبال ستمور .. مصداقا لقوله تعالى **يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ عَرِّ الْأَرْضِ** (٢) إلى آخر الآية الكريمة .. ثم هل يكون فى الآخرة حساب (٣) ؟ أهدا .. الآخرة نرى فيها الحقائق .. نرى فيها كل شيء

(١) النمل : (٨٨) :

(٢) ابراهيم : (٤٨) .

(٣) ظن ووهم .

عين اليقين .. ونعرف كل شيء على حقيقته .. الجنة والنار . والشواب  
والحساب وكل شيء .. إذن فقول الله سبحانه وتعالى «تحمسبها  
جامدة» .. معناه .. إنك وأنت أمام هذه الجبال واهم .. لأنك تظن  
أنها جامدة وهي تمر مر السحاب .

ثم يأتي بعد ذلك استخدام الله سبحانه وتعالى كلمة مر  
السحاب .. وكما قلت إن اختيار الالفاظ في القرآن دقيق جدا .

مر السحاب . لماذا لم يقل الله سبحانه وتعالى مثلا مر الرياح ..  
أو مر العواصف .. أو مر الأمواج .. أو أى لفظ آخر ؟ لأن  
السحاب لا يتحرك بنفسه .. بل تدفعه قوة أخرى هي قوة الريح فحين  
يتحرك السحاب من مكان إلى مكان آخر .. لا ينطلق بذاته  
ويمضى .. بل تأتي الرياح وتحمله من المكان الذى هو فيه إلى مكان  
آخر وهكذا .. فكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا انتبهوا ..  
إن حركة الجبال ليست حركة ذاتية كحركة الأرض .. وليست  
حركة ذاتية كحركة الرياح .. فهي لا تتحرك بذاتها .. أى لا تنتقل  
من مكانها على الأرض إلى مكان آخر على سطح الأرض .. لا .. إن  
مكانها ثابت .. ولكنها تمر أمامكم مر السحاب .. أى تتحرك بحركة  
الأرض .. تماما كما تحرك الرياح السحاب .. وإلا فلماذا لم يقل الله ..  
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تسير .. أو هي تجرى .. أو وهي  
تتحرك .. أو وهي تمر من مكان إلى آخر .. أبدا .. استبعد كل  
الألفاظ التى تعطى الجبال ذاتية الحركة .. أى أن الذى يتحرك ذاتيا

هي الأرض .. والجبال تتبع هذه الحركة وهي تمر أمامك مر السحاب  
الذى لا يملك ذاتية الحركة .. أترى دقة التعبير .. ودقة التصوير  
لدوران الأرض في القرآن؟ هل كان من الممكن أن يقول محمد هذا  
الكلام .. أو يصل إلى هذا العلم؟ ألا يعتبر هذا إعجازا حين يقول  
العلماء إن الأرض تدور حول نفسها فنقول لهم هذه الحقيقة مسها  
القرآن .. بل وأعطى تفصيلا فيها؟ إن كل شيء على الأرض يتبع  
الأرض في حركتها الذاتية بما في ذلك الجبال الشاهقة الضخمة ..  
ذلك في الدنيا طبعاً .. لأن في الآخرة ينسف الله الجبال نسفاً .. ولا  
يكون هناك حسابان .. ولكن يكون هناك يقين ..

فكون القرآن يخترق حجاب المستقبل .. وبعد ذلك يمس قضايا  
كونية بما يثبت نشاط الذهن بعد أربعة عشر قرناً .. فهذا يدل على أن  
القرآن اخترق حجاب المستقبل للبشرية كلها ..

ولكن بعض الناس يجادل في خلق الإنسان .. وهي محاولة  
للإضلال .. وإنكار آيات الله في الكون .. وهذا أيضاً من إعجاز  
القرآن .. وجود هؤلاء المضلين في الدنيا ومحاولتهم الإضلال ..  
ومحاربة دين الله .. هو إعجاز قرآني لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا  
عنهم قبل أن يوجدوا .. ولقد شرحت ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني .



### مناقشة الفصل الثالث

١ - قال تعالى : **يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ أَيُّكُمْ  
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُمْ**  
ضع علامة ( ✓ ) أمام الإجابة الأكثر دقة مما بين الأقواس .

- ( ١ ) تحدى القرآن بهذه الآية ( العرب وقت نزوله )  
( البشرية كلها وقت نزوله )  
( البشرية كلها حتى قيام الساعة )

( ب ) اختار الله سبحانه وتعالى الذبابة لأنها :

- ( أضعف المخلوقات )  
( أعقد المخلوقات )  
( أجمل المخلوقات )

٢ - قال تعالى : **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ،

تحسبها : ( تخيلها - تظنها - توقن بها )

تمر : ( تتحرك - تجرى - تسير )

اختر الإجابة الدقيقة لما تقدم وعللي لما تختاره .

٣ - ما المراحل التي يمر بها العلم ؟ وبم عرف المؤلف العلم ؟

٤ - « وَأَلَّا تَرْضَىٰ مَدَدْنَاهَا ، » ، « يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ » كيف تستدل بالآيتين الكريميتين على كروية الأرض ؟

٥ - سألك أحد المعاندين : العلماء الآن يعرفون نوع الجنين في بطن أمه فأين الإعجاز في قوله تعالى « وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ » ؟  
فماذا ترد عليهم ؟

## الفصل الرابع

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

مقدمة :

شهر رمضان هو شهر القرآن .. وهو شهر الرحمة والمغفرة والتسوية .. وهو الشهر الذي نزلت فيه الرسالة على محمد عليه الصلاة والسلام وهي رحمة للعالمين .. مصداقا لقوله سبحانه وتعالى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وهذا الموضوع عن تفسير معنى هذه الآية الكريمة .

يلاحظ أن موكب الرسل حين يبعثها الله سبحانه وتعالى لعباده .. أن كل رسول يأتي برحمة .. كيف ذلك ؟

قد يأتي الرسول إلى بيعة محتاجة للتذكير بالمنهج الله .. ولا يأتي رسول إلى قوم آخرين يعيشون في نفس الزمن .. ولكن في بقعة أخرى ويتبعون منهج الله اتباعا سليما .

إذن فالديانات كلها .. إنما تهدف إلى بقاء المنهج الإلهي الذي صاحب الإنسان الأول .. حتى ينظم حركته في الأرض .. وتأتي الرسل تذكر من نسي أو انحراف .. أو يخالف هذا المنهج من ذرية

ادم .. وذلك نظرا لان المنهج يتطلب سلوكا يتعارض مع شهوات النفس وتحدث الغفلة والنسيان والانحراف . الذى قال فيه الله سبحانه وتعالى **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (١) أى انتهت صلتهم بالله بغفلتهم الكاملة عن أحكام الدين .

إذن مواكب الرسل كلها جاءت لكى تذكر بالعهد الأول الذى أعطى لآدم والذى عبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله **فَأَمَّا يَا آتِينَكُمْ مِنِّي هُدًى** (٢) .. لكن الغفلة تطرأ على القلب .. ومن رحمة الله أن يرسل رسولا يذكر الناس بالمنهج ..

### لكل زمان وكل مكان

وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .. جاء على فترة من الرسل .. نلاحظ أن رسالته صلى الله عليه وسلم لم تكن لقوم معينين .. ولا لجنس بشرى معين خلافا للرسل السابقين .. فيقول الله سبحانه وتعالى لنبيه . **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (٣) ثم يقول الله « وما أرسلناك إلا كافة للناس » .. رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أخذت هنا عمومية .. عمومية المكان .. ثم يقول الله سبحانه

(١) المطففين . (١٤) .

(٢) البقرة . (٣٨) .

(٣) الأنبياء . (١٠٧) .

وتعالى « وخاتم النبيين » .. إذن أخذت الرسالة هنا عمومية الزمان أيضا .. أخذت عمومية للزمان والمكان .. ولذلك يجب أن يأتي التشريع لكل زمان .. وكل مكان ..

ولكن لماذا جاءت الرسالة .. رسالة النبي صلى الله عليه وسلم .. لها عمومية المكان وعمومية الزمان ؟ هذا أيضا من إعجاز القرآن .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى في علمه أن آفات (١) البشرية كلها ستصبح آفات واحدة .. ذلك أن العالم كلما تقدم وازداد اتصاله .. توحدت الآفات التي يشكو منها .. فقبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .. كان هناك انعزال في الدنيا .. لا توجد اتصالات بين المجتمعات البشرية ، وكان كل مجتمع بشري يعيش وينتهي دون أن يدرى مجتمع بشري آخر في مكان بعيد عنه .. ذلك أن الاتصالات بين المجتمعات البشرية المختلفة .. كانت شبه معدومة لبعدها المسافة .. وضعف وسائل المواصلات أو انعدامها .. وعدم تقدم العلم الذي يمكن البشر من اتصال بعضهم ببعض في أوقات قصيرة .. ومن هنا كان لكل مجتمع آفاته الخاصة .. وأمراضه .. وانحرافات .. وغفلته عن الدين .. وكانت الرسل تأتي إلى هذه المجتمعات . لتذكر بمنهج الله ولكنها كانت ترسل إلى مجتمع بعينه كعاد وثمود وآل لوط وغيرهم .. بل كما قلت في أحيان كان يرسل الله سبحانه وتعالى أكثر من رسول

(١) آفات : أمراض ومفردها آفة .

في نفس الوقت .. هذا ليعالج آفات مجتمع .. وهذا ليعالج مجتمعا  
آخر .. كما حدث مع لوط و ابراهيم مثلا ..

كان هناك انعزال .. وكان هذا الانعزال يُجعل الأدوية<sup>(١)</sup>  
مختلفة .. ويتم إرسال الرسل إلى كل مجتمع لتذكير أهله ..

ولكن الآن وبعد أن التقى العالم وارتقى .. توحدت الداءات ..  
أو أصبحت كلها حول دائرة واحدة .. يحدث شيء في أمريكا فيصبح  
عندك بعد ساعة واحدة .. تكاد تكون هناك وحدة الآفات في العالم  
كله .. آفة البشرية واحدة في البلاد المتقدمة .. وفي البلاد غير  
المتقدمة .. لأنه حدث التقاء بشري .. وعندما يحدث الحادث يعرفه  
العالم كله بعد دقائق ..

مادامت الآفات قد توحدت نتيجة للاتصال البشري الكبير  
الذي تم .. فلا بد من وحدة المعالجة .. وهكذا أنبأنا الله سبحانه  
وتعالى في القرآن الكريم منذ وقت نزوله .. أن العالم سيتقدم ليصبح  
وحدة واحدة .. وأن الآفات في العالم تكاد تتوحد نتيجة الاتصال  
السريع بين أجزائه .. ولذلك لا بد من وحدة المعالجة .. فأرسل هذا  
الدين رحمة للعالمين .. وهذا معنى كلمة رحمة للعالمين .. أي للعالم

(١) الأدوية : الأمراض ومفردتها : داء .

كله الذى ستتوحد أدواؤه وآفاته .. ولا بد أن يكون المعالج واحدا  
يشمل الجميع .

ومادام رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .. فمعنى  
ذلك أن الدين الذى سيأتى به سيعالج آفات العالم .. وأنه سيكون  
رحمة للعالمين فى كل زمن حتى تقوم الساعة ..

### معنى الشفاء ومعنى الرحمة

ومعنى هذه الآية الكريمة .. أنه لا توجد قضية فى العالم تمس  
حياة البشرية إلا وموجود فى منهج الله ما يعالج هذه القضية .. نحن  
نقول يعالج .. لأن التشريعات عندما تأتى تعالج واقعا موجودا فى  
المجتمع .. وفسادا انتشر .. ولذلك فهى تعالجه لتشفى الناس منه ..  
وبعد ذلك عندما تتبع تعاليم الله .. لا يأتى لنا الفساد .. ولا الآفات ..  
ولا أمراض المجتمع .. وفى هذه الحالة يكون هذا الدين وقاية لنا من  
آفات المجتمع وانحرافات .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى  
القرآن .. **وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ** (١) شفاء معناها  
أنه سيعالج الانحرافات والفساد الموجود فى المجتمع .. ورحمة معناها أنه  
يمنع أن تأتى هذه الانحرافات إلى المجتمع .. وذلك عين الرحمة ..

(١) الاسراء : (٨٢) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء للعالمين عموماً .. زماناً  
 ومكاناً .. بمبادئ .. هذه المبادئ رحمة .. ومعنى الرحمة أننا لو  
 اتبعناها .. لن يقع فساد في المجتمع .. يضطرنا أن نعالج .. وعندما  
 نفعل عن هذه المبادئ .. يوجد هذه الغفلة آثار ضارة في المجتمع ..  
 نبدأ في التفكير في العلاج .. فنكتشف أننا تركنا مبدأ كذا ومبدأ  
 كذا .. مما أمر به الله .. فيبدأ العلاج بمنهج الله ..

إذن فقول الله **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** . معناه أنك  
 جئت بمنهج من عندنا تبلغه للناس .. لو أنهم اتبعوا هذا المنهج ..  
 لعنتهم الرحمة بحيث لا يوجد شقاء إنساني في المجتمع ولا فساد ..

والدين ليس موضوعه الآخرة فقط .. بل هو ينظم حركة  
 الإنسان في الدنيا .. ينظم حركة حياته .. أما الآخرة ففيها الجزاء ..  
 الجزاء على اتباعك المنهج .. أو ما أمر به الله .. أو عدم اتباعك له ..  
 تطبيق الدين .. وتعاليم الدين .. مقصود به أولئك الموجودون في  
 الدنيا .. **مَعْدَاقًا لِّقَوْلِهِ تَعَالَى ءَلَيْسَ ذَرَمَن كَانَ حَيًّا** (٢) .. والجزاء على  
 الشيء ليس هو عين موضوعه .. لذلك فإن الدين لا يقتصر على

(١) الأنبياء : (١٠٧)

(٢) يس : (٧٠)



الغيبات فقط .. فالغيبات يصدقها من آمن بالله .. لأنها جاءت عن الله أما غير المؤمن فليس له إلا واقع الحياة ولاهد أن يبين لنا واقع الحياة أن هذا المنهج الذي جاء من عند الله .. لو اتبع كما يريد الله فسيختفى الشقاء من المجتمع .. ولذلك نجد القرآن يفسر ذلك تفسيراً دقيقاً ..

فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿١﴾ .. هذا في الدنيا .. ثم قال تعالى : وَنَحْشُرُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿٢﴾ قول الله معيشة ضنكاً .. يدل على أن تعاليم الله نزلت لتحبي الإنسان من ضنك وشقاء المعيشة في الدنيا ..

والشقاء البشري ليس اقتصادياً فحسب .. لا يتعلق بالمال وحده .. وإنما معنى ضنك المعيشة هو الضيق في المعيشة .. وهذا له أسباب متعددة .. فقد يملك الإنسان أموالاً طائلة .. ومع ذلك يضيق بحياته .. ذلك أن جوانب النفس البشرية جوانب شتى (٣) قد يشبع المال جانباً منها .. وتبقى الجوانب الأخرى في ضيق وشقاء .. ولذلك نجد أن إنساناً يملك أموالاً طائلة .. قد يرغب ظرف من ظروفه أن ينتحر .. لماذا؟ .. لقد ضربت مثلاً لذلك بالسويد .. وهي أعلى دول

(١) طه : (١٢٤) . معيشة ضنكاً : ضيقة شديدة بسبب الفقر أو المرض النفسى أو المرض الجسمى .  
 (٢) طه : (١٢٤) .  
 (٣) شتى : متفرقة .

العالم في نصيب الفرد من ترف الحياة .. ومع ذلك فإن الإحصاءات تقول إنها من أعلى دول العالم في الانتحار والأمراض العصبية والنفسية .. المسألة ليست مسألة مادية فقط .. وشقاء الحياة لا يجب أن يؤخذ على أنه فقط جانب المال .. بل هناك جوانب أخرى تسبب لصاحبها شقاء إنسانيا أكثر من قلة المال ..

### إذا خالفنا انكشفت العورة (١)

نكون الآن قد وصلنا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء عاما لجميع الأزمان والأمكنة بمبادئ هي الرحمة .. لو اتبعت لنجوننا من الشقاء في الدنيا ، وأخذنا الجزاء في الآخرة .. وهذه هي الرحمة .. كل هذا يفسر لنا ما حدث لآدم .. وهو أن الله سبحانه وتعالى منعه أن يقرب الشجرة فلما ذاقا الشجرة .. بدت (٢) لهما سوءاتهما .. يعنى العورة بدت عند المخالفة .. فأى عورة في مجتمع من المجتمعات .. إذا بحثت عن أسبابها وجدت أنها حدثت بسبب مبدأ من مبادئ الله عطل في الأرض .. ولو لم يحصل ذلك لما وجد الجمال في الكون .. إذا كان المستقيم وغير المستقيم أمرهما سواء في الحياة ..

(١) معنى العبارة أن مخالفة البشر لمنهج الشرع يؤذن باعلان حرب الله على المخالفين .  
(٢) بدت : ظهرت .

لا يكون هذا جمالا .. ولو أن الطالب المجتهد والطالب الذى لا يذكر  
نجحا لا يكون هذا جمالا فى الحياة .. بل إنه يكون جمالا يورث قبحا .  
لأنه قد تساوى من اجتهد ومن لم يجتهد .. وبذلك لن يجتهد أحد ..  
فلو لم يوجد الشقاء والفساد فى البيئات التى تبتعد عن منهج الله .. لما  
كان ذلك جمالا ولا شهادة للدين .. إن الشهادة للدين أن الجماعة  
التي تبتعد عن منهج الله يحدث لها شقاء وداءات وفساد وانحرافات ..  
وبذلك يدل الله سبحانه وتعالى فى الحياة الدنيا .. ومن واقع تجربتها  
على صدق منهجه وتعاليمه ..

### فتح التوبة أمام البشر

إلا أن هناك معنى أوسع أود أن أضيفه .. ذلك أن السماء<sup>(١)</sup> قبل  
الرسالة المحمدية .. كانت لا تطلب من الرسل إلا مجرد البلاغ .. وهى  
التي تتولى التأديب .. تأديب المخالفين .. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى  
هذا فى القرآن .. منهم من أغرقنا ، ومنهم من خسفنا به الأرض ،  
ومنهم من أخذته الصيحة .. السماء هى التى كانت تؤدب العاصين ..  
والرسل كان عليهم البلاغ .. لكن فى عهد الرسول عليه الصلاة  
والسلام .. أمن الله الإسلام على أنه هو الذى يقوم بتأديب المخالف ..  
فالذى يعصى تعاليم الله . فإن له معيشة ضنكا فى الدنيا غير عذاب  
الآخرة .. ولذلك كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رحمة .

(١) السماء : المقصود الله تعالى الذى يرسل رسالته من السماء .

للعالمين .. للكافر والمؤمن منهم .. ذلك أن السماء لم تعجل بعذابهم في  
 الدنيا .. كما كان يعجل بالمخالفين للرسول في الأمم السابقة .. تركت لهم  
 فرصة التوبة .. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ  
 اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١) فكان الله سبحانه وتعالى قد أرسل  
 نبيه رحمة للعالم كله دون تمييز بين مؤمن وغير مؤمن رحمة من عذاب  
 السماء في الدنيا .. وليفتح أمامهم أبواب التوبة عن المعاصي فيغفر لهم  
 في الآخرة .. وهذا هو معنى الآية الكريمة : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
 إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (٢) .

(١) الأنفال : (٣٣) .

(٢) الأنبياء : (١٠٧) .

## مناقشة الفصل الرابع

١ - اختر معلوماً بوضع اسم مَنْ أُرسل إليهم كل رسول من الرسل الآتية أمامه .

[ ] ( أ ) هود عليه السلام

[ ] ( ب ) صالح عليه السلام

[ ] ( جـ ) موسى عليه السلام

[ ] ( د ) محمد صلى الله عليه وسلم

٢ - ما مصدر الشقاء البشرى كما يقرر القرآن الكريم ؟ وما معنى « معيشة ضنكا » ؟

٣ - تخير من [ ب ] ما يتم معنى [ أ ] :

( ب )

( أ )

١ - القرآن الكريم علاج لأنه ١ - دليل على عمومية رسالة

محمد صلى الله عليه وسلم

٢ - القرآن الكريم رحمة لأنه ٢ - يعالج الآفات في العالم كله

٣ - القرآن الكريم منهج عالمي ٣ - يحمل الخير والسعادة لكل

زمان ومكان .

لأنه

٤ - التقدم الإنساني في وسائل ٤ - يمنع الانحرافات من المجتمع

الاتصال .

٥ - يؤكد المبادئ السليمة

وينشرها .

## الفصل الخامس ليلة القدر

مقدمة

[ ليلة القدر هي الليلة التي نزل فيها القرآن .. والقرآن أزلي لأنه صفة من صفات الله سبحانه وتعالى .. ولذلك فإن القرآن نزل في هذه الليلة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليأمر مهمته بالفعل ولا تفعل .. ]

ولو أخذنا اختلاف السنة القمرية عن السنة الشمسية لوجدنا أن ليلة القدر .. جاءت في كل يوم من أيام السنة .. فرمضان يأتي في الربيع والخريف والصيف والشتاء .. أي أنه يدور في العام كله .. في كل فصل من فصوله .. ما من شهر من شهور السنة الشمسية إلا وشهد رمضان أو جزءا من رمضان .. ومع طول الزمن نجد أن ليلة القدر هي الأخرى قد مرت في العام كله .. في كل يوم من أيامه ..

السري كونها بالليل

واختيار الليل هنا لأنه الوقت الذي تكون فيه العبادة لله وحده .. فيه صفاء وهدوء .. وفيه صدق التعبير .. فالذي يراى

عبادة الله لا يمكن أن يقوم الليل .. والذي يريد أن يقال عنه إنه رجل صالح .. رياءً أو نفاقاً لا يمكن أن يقوم الليل .. ولكن الذي يقوم الليل هو الخاشع لله سبحانه وتعالى المؤمن به . وعندما يختار الله وقتاً من الأوقات .. أو مكاناً من الأمكنة أو شخصاً من الأشخاص لينعم عليه بما شاء .. ويصطفيه لرسالته أو لإبلاغ خلقه منهجه .. فهذا الاختيار هو خير للبشرية كلها .. فاختيار مكة مثلاً مكاناً لبيت الله الحرام هو في نفس الوقت تكريم للعالم كله .. فالناس من جميع أنحاء العالم تذهب هناك لتحج وتؤدي المناسك وتتوب إلى الله وتستغفره وتعود إلى بلادها مغفورة الذنب .. إذن فالخير هنا لم يقتصر على مكة وحدها .. بل امتد ليشمل رحمة الله للعالم أجمع .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رحمة للعالمين وكلنا ندعو له بالرفعة والمقام المحمود .. فنحن ندعو لأنفسنا .. لأنه بالمقام المحمود الذي سيكون فيه يوم القيامة .. سيسفح لنا جميعاً .. فيصينا الخير والرحمة على يديه .

**كيف يتحقق أمن البشرية ؟**

كذلك اختيار ليلة القدر .. هي لتعم الدنيا كلها بفضل من الله ورحمة .. فالنفس البشرية لكي تعيش آمنة في الحياة الدنيا يجب أن

تتخلص من عدة أشياء .. أولها الخوف ، والخوف يكون من شيء معلوم .. ثم الهم والحزن الذي يدخل القلب ، وهذا قد يأتي من شيء مجهول غير معلوم لك .. ثم المكر أن يمكر بك غيرك .. وليلة القدر سلام وأمن .. لأنها تذكركنا بالقرآن الذي لو اتبعناه لأذهب عنا الخوف والهم والحزن ..

### العمل بالقرآن يورث الأمان

وكان الإمام جعفر الصادق يقول .. عجبت لمن خاف كيف لا يفرع إلى قول الله سبحانه وتعالى : **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** (١) فإن الله يعقبا بقوله « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » وعجبت لمن اغتم كيف لا يفرع إلى قول الله تعالى « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » فالله يعقبا بقوله : **فَأَسْتَجِبْنا لَهُ وَنَجِّنْهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّى الْمُؤْمِنِينَ** (٢) وعجبت لمن يمكر به كيف لا يفرع إلى قول الله تعالى « وأفوض أمري إلى الله .. إن الله بصير بالعباد » فإن الله يعقبا بقوله **فوقه الله سيئات مآم مكرُوا** (٣) وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها كيف لا يفرع إلى

(١) آل عمران (١٧٣) .

(٢) الأنبياء (٨٧ ، ٨٨) .

(٣) غافر (٤٥) .





قول الله سبحانه وتعالى « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » فإني سمعت الله يعقبها بقوله إن تَرَنَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ <sup>(١)</sup> .

كل شيء في هذا الكون لكى يحدث .. لا بد أن يكون هناك فاعل ليقوم به .. ولا بد أن يكون هناك مفعول به ..

وقد يوجد الفاعل والمفعول .. ولكن السبب الذى من أجله ينشأ الفعل ينعدم .. إذن الفعل لا بد له من وجود هذه العناصر الثلاثة .. الفاعل والمفعول به والسبب .. لذلك أدبنا الله سبحانه وتعالى فى الأحداث .. وأمرنا ألا نقول لشيء نريد أن نفعله غدا .. إلا أن يشاء الله .. وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ لَّابُدَ أَنْ تَقُولَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ .. لماذا ؟ .. لأنك لا تملك عنصرا واحدا من عناصر الفعل .. لا تملك وجود الفاعل الذى هو نفسك غدا .. أو بعد ساعات .. ولا تملك وجود المفعول غدا .. ولا تملك بقاء السبب غدا .. ولا تملك بقاء الزمان غدا .. ولا تملك بقاء المكان غدا .. ولكن قولك : إني فاعل ذلك غدا .

(١) الكهف : (٣٩) .

(٢) الكهف : (٢٤) .

مجاز .. ولذلك يجب أن تردّها إلى من يملك وجود هذه الأشياء ..  
وتقول إلا أن يشاء الله .. وفي هذه الحالة تكون قد خرجت من  
الكذب إلى الصدق .. وإلى الحقيقة ..

### المقصود بأنزلناه في ليلة القدر أهرزناه إلى الأرض

وما دامت الأحداث لها هذه العناصر .. فإن حدث نزول  
القرآن يقتضى مُنزلاً .. ويقتضى مُنزلاً عليه .. ويقتضى مسيماً  
للإنزال .. ويقتضى مكاناً للإنزال وزماناً للإنزال .. فليلة القدر  
تعرضت لزمان الإنزال .. لكن القرآن إذا نظرنا إليه وجدناه نزل في  
ليلة القدر وفي غير ليلة القدر .. لأنه نزل منجماً حسب الحوادث ..  
ونزل ليلاً .. ونزل نهاراً .. ونزل في كل وقت من الأوقات .. ولكن  
الإنزال في ليلة القدر .. معناه إرادة الحق أن يبرز القرآن من كثره  
الذى كان مكنوناً فيه إلى الأرض ليباشر مهمته في الوجود .. من عالم  
الغيب .. إلى عالم الشهادة .. وتنزيل القرآن منسوب إلى الله سبحانه  
وتعالى مصداقاً لقوله **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ** (١) .

ولكنه يأتي أيضاً منسوباً إلى جبريل .. نزل به الروح الأمين .. أى  
الذى نزل به .. الروح الأمين .. ولكن الذى أنزله هو الله سبحانه

(٢) الإسراء : ( ١٠٥ ) .

وتعالى .. إن مادة أنزل لم تسند إلا لله سبحانه وتعالى .. فقول الله  
**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** (١) أى أخرجناه من اللوح المحفوظ من  
عالم الغيب الذى كان مستورا فيه لياشر مهمته فى الوجود .. ومادام  
قد أنزله فى ليلة القدر .. والإنزال للقرآن .. يكون الإنزال ليس  
للبلاغ وحده ولكن لكى يتدىء القرآن مباشرة مهمته .. وبذلك  
يكون ما قالوه من أنه نزل من اللوح المحفوظ إلى الدنيا لياشر  
مهمته .. وبعد ذلك من الجائز أن يكون أول نجم فيه قد نزل فى هذه  
الليلة .. والذى يجب أن نفهمه أن الله سبحانه وتعالى حين نسب  
القرآن إلى ذاته .. والنزول به إلى جبريل .. معناه أن جبريل حمله كما  
هو .. كما أنزله الله .. إلى النبي صلى الله عليه وسلم .. وأنه لم يجر فيه  
أى تعديل أو تبديل .. بل هو كما أنزله الله سبحانه وتعالى ..

يبقى ليلة القدر .. الليلة التى أنزله فيها الله سبحانه وتعالى لياشر  
مهمته فى الوجود أنزله إلى السماء الدنيا ليأخذ منه جبريل .. لينزله  
على محمد صلى الله عليه وسلم .. لقد كان القرآن إلى أن أخذ منه  
جبريل فى طى غيب الله .. وبعد ذلك حين أوصله جبريل إلى رسول  
الله كان فى طى الغيب عن رسول الله .. ثم حين أخذه رسول الله ..

(١) القدر : (١) .

وأبلغه للناس كان في طي الغيب عنا.. فقول الله سبحانه وتعالى «إنا أنزلناه في ليلة القدر» .. يدل على أن معنى الإنزال ابتداء مباشرة القرآن مهمته في الوجود .. بافعل ولا تفعل<sup>(١)</sup> .. وذلك بأن ينزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا .. ثم ينزل به جبريل بعد ذلك منجما<sup>(٢)</sup> حسب الحوادث ..

### معنى الزمان ليس قائما بذاته

يلاحظ هنا أن الضمير في قول الله «إنا أنزلناه» ضمير جمع .. وفي المنزل هاء الغيبة . وإذا قرأت القرآن وجدت أن الحق سبحانه وتعالى في كل فعل يفعله يأتي بضمير الغيبة الجمع .. لأن الفعل يتطلب تكاتف صفات متعددة لله سبحانه وتعالى .. الحكمة والرحمة والقوة والعلم إلى آخره .. لكن الحق إذا تكلم عن الذات .. يتكلم بالافراد .. فلم يقل سبحانه وتعالى نحن الله .. بل قال إني أنا الله .. وفي هذه الحالة فهو يتكلم عن وحدانيته ولا شريك له .. ولكن عندما يتكلم عن حدث يتطلب عدة صفات مجتمعة .. فإنه يستخدم صيغة الجمع .. «إنا أنزلناه» .

(١) افعل ولا تفعل : المراد الأوامر والنواهي .

(٢) منجما : مفرقا .

إذن المتزل هو الله والمنزل هو القرآن والوقت الذي تنزل فيه هو ليلة القدر .

نعود إلى ليلة القدر .. ما دام القرآن قد نزل فيها .. والقرآن يحمل هدى الله للبشر جميعا .. فيجب أن تكون محل حفاوة بما أنزل فيها .. والإنسان حين يحتفى بزمان .. يحتفى بما حدث في هذا الزمان .. فالزمان ليس ملحوظا .. ولكن ما حدث في الزمان هو الملحوظ .. حين يحيى الإنسان ليلة القدر .. فهو لا يحييها إلا لأن الله كرمها .. لأنها كانت ميلادا للقرآن .. فتكريمها تكريم للحدث الذي وقع فيها وهو القرآن .. ولا يكرم الإنسان حدثا وقع في زمن إلا لأنه فرح بآثار هذا الحدث نفسه .. فقول الله « إنا أنزلناه في ليلة القدر » معناه إبراز القرآن من اللوح المحفوظ .. الذي كان مستورا فيه إلى الوجود ليباشر مهمته .

ليلة القدر أخذت القدر من جهتين .. التقدير والقدر .. ثم يضحك الله الليلة .. **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ** (١) ما أدراك .. أدري هنا فعل ماض .. ومعناها ما أحد أدراك بليلة القدر .. وما دام الله قد نفي أن يكون أحد قد أدري نبيه بليلة القدر .. فكأنه لا يعرف قدرها إلا الله سبحانه وتعالى .. فإذا أردت أن تعرف قدرها فاسمع من الله .

(١) القدر : (٢) .

## الفرق بين ما أدراك وما يدريك في القرآن ألف شهر لماذا؟ ..

القرآن حين يتكلم في أدراك أو يدريك .. لا بد أن نلاحظ شيئا .. ما أدراك معناها أنه لم يوجد أحد قد أدراك قبل الآن .. ويدريك معناها أن أحدا لم يدرك في الماضي .. وأن أحدا لم يدريك في المستقبل .. إذن ما يدريك لا يمكن أن يدرك أو يعرف .. إنما ما أدراك في الزمن الماضي .. معناها أن أحدا لم يخبرك بشيء عنها حتى الآن .. ولكن الله سيدريك الآن .. وهنا أدركه الله وقال **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** (١) فإذا قرأت في القرآن ما أدراك فاعلم إن الله سيدريك .. وإذا قرأت ما يدريك فاعلم أن ذلك من مكنونات الغيب .. وأن الله لا يدريك بها .. ولا تقال هذه الكلمة .. وما أدراك ما ليلة القدر .. إلا إذا كان القدر عظيما لا يمكن أن يستوعبه أحد باجتهاده أو بعلمه .. إلا الله .. وهذا تفخيم لليلة القدر .. فكان الخمر فيها أكبر من أن يدركه البشر .. وإنما يدركه من اختارها لإنزال خير ما أنزل ..

ثم يقول الله سبحانه وتعالى **ليلة القدر خير من ألف شهر** ،  
هنا تفضيل الليلة على ألف شهر لا بد أن نقف أمامه .. فمادامت ألف

(١) القدر : (٣) .

شهر والسنة اثنا عشر شهرا .. كأن الألف شهر فيها ثمانون عاما ..  
 أى ثمانون ليلة قدر .. إذن هى خير من ألف شهر .. ولكن هل هى  
 مفضلة على مكررها .. أى أنه خلال الثمانين عاما القادمة ستكرر ليلة  
 القدر ثمانين مرة .. فهل ليلة القدر التى نحن فيها الآن خير من ثمانين  
 ليلة قدر قادمة .. ولماذا اختيرت الألف بالذات . لأن الله سبحانه  
 وتعالى كان يخاطب العرب بعقولهم .. وقد كان العرب يعتقدون أن  
 الألف هى نهاية الأرقام .. ولذلك إذا زادوا عليها كرروا كذا ألفا ..  
 فلم يكونوا مثلا يعرفون المليون أو البليون .. إذن الألف قمة  
 العدد .. فكأن الله أراد أن يقول إن ليلة القدر خير من ألف شهر أى  
 أنها خير من أضخم شىء يعرفون به مقاييس الأعداد .. وإذن معناها  
 أن ليلة القدر خير من الزمن كله مهما طال .. ولكن خير من ألف  
 شهر فى ماذا .. ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمة ..  
 فرسول الله صلى الله عليه وسلم سمع أن رجلا حمل السيف فى سبيل  
 الله ألف سنة .. فاستقصر عمر أمة .. فكأن الله أراد أن يشره ..  
 فقال له .. عندكم ليلة .. لو أحسنتم القيام فيها والعبادة لله لأغنتكم  
 عن ألف شهر .. وألف شهر فى ماذا فى حمل سيف فى سبيل الله ..  
 ويكون المعنى فى ذلك أن الله سبحانه وتعالى عوض أمة محمد فى  
 الزمن اليسير .. ما يتسع له ما أخذه غيرهم فى الزمن الطويل ..

ولكن الله أراد أن يعطينا شيئاً آخر عن ليلة القدر .. هي أنها محل لتنزلات الملائكة برحمة الله في الأرض .. تنزلات رحمة الله في الأرض هي بنواميس .. وبقوانين .. ولا يتعارض العقل أن يكون لكل ناموس أو لكل قانون نوع من الملائكة .. الملائكة خلق من خلق الله الغيبي .. كل قانون كالأرزاق والرحمة .. وكالموت .. له ملائكة .. بدليل أن الله يقول عن الملائكة « فالدبريات أمراء » أى أنه خلق الملائكة الغيبين .. لكى يباشروا مهمة غيبية محددة في الحياة .. ويمكن أن تكون ليلة القدر قد خصت بنزول القرآن فيها .. لأن الله قد خصها من قديم الزمان .. بأنها محل لتنزلاته إلى الأرض .. تنزل الأحكام إلى الملائكة .. ثم يباشرونها على امتداد العام كله .. ثم يقول الله تعالى **سَلَّمْهُنَّ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ** (١) الذى يدلنا على أن التنزلات في ليلة القدر شملت غير القرآن .. قوله سبحانه وتعالى « تنزل الملائكة والروح فيها » (٢) فالروح الأمين وهو جبريل تنزل بالقرآن .. والملائكة .. تنزل لخير الله في الأرض .. أى أن للملائكة تنزلات أخرى غير القرآن ليباشر كل ملك مهمته في الناموس الذى خصه الله به .. وبعد ذلك قال **سَلَّمْهُنَّ حَتَّىٰ**

(١) القدر : (٥) .

(٢) القدر : (٤) .



مَطْلَعِ الْفَجْرِ معنى ذلك لا ينزل فيها إلا كل ما هو خير .. وكل ما هو سلام .. لأن تنزلات الله بالخير في نوااميسه جاءت خيرا للناس في كل ما يتصل بحياتهم ..

هذا فيما يتعلق بماديات الحياة .. وفيما يتعلق بمعنوياتها .. فإن خير ما ينزل في هذه الليلة هو القرآن الذى وضع آخر منهج لحركة حياة الإنسان على الأرض .. ومادام الأمر كذلك .. فإذا استقبلنا ما نزل في هذه الليلة .. وجعلناه منهجا .. في هذه الحياة ملاً الكون السلام والرحمة والبركة .. فسلام ليلة القدر هو سلام لكل الأزمنة .. لا يحتل السلام أبدا .. السلام نزل في ليلة القدر .. لكن نحن الذين ننفذه أو لا ننفذه .. فإن نفذناه يكون سلام ليلة القدر قد امتد لكل الأزمان .. وإذا أخذناه وعطلنا مهمته .. يكون السلام قد نزل في ليلة القدر .. ونحن الذين امتنعنا عن أن ننتفع بذلك السلام .

والمفروض أننا نمضى ليلة القدر في عبودية صادقة لله .. فإذا أمضينا هذه الليلة ونحن نعبد الله حق عبادته .. كان معنى ذلك أننا كررنا الزمن الذى أنزل فيه ما نحب .. وهو القرآن .. المنهج الذى أوضح لنا صفاء العبودية للحق سبحانه وتعالى .. احتفالنا بليلة القدر .. هو فرحتنا بتلك الليلة .. بما نزل فيها .. ولا نفرح بما نزل

فيها إلا إذا كانت آثار ما نزل فيها قد نضحت على نفوسنا صفاء ..  
وعلى سلوكنا تضرعا .. وهنا يتجلى الله سبحانه وتعالى : مادام  
عبدى قد فرح بمنهجي فرحا جعله يكرم ليلة البداية في نزول هذا  
المنهج فليس له جزاء عندي إلا أن أغفر له .

### تحديد الليلة في رمضان

بعد ذلك نأتى إلى تحديد الليلة .. البيتحة في شهر رمضان .. لأن  
الله سبحانه وتعالى قال ، إنا أنزلناه في ليلة القدر ، والقرآن نزل في  
ليلة القدر .. وفي آية أخرى ، شهر رمضان الذى أنزل فيه  
القرآن ، القرآن نزل في رمضان .. وفي غير رمضان .. إذن لابد أن  
بداية الإنزال أو الإذن لمباشرة القرآن لمهمته في الكون .. في شهر  
رمضان .. ولكن ليلة القدر دائرة في الزمن .. بمعنى أنها مرت في كل  
يوم من أيام الزمن .. فالفرق بين العام القمري والعام الشمسى أحد  
عشر يوما .. وهذا الفرق مثلا يجعل رمضان يأتي في الشتاء .. وفي  
الصيف .. وفي الخريف .. وفي الربيع .. أى أنه مقسم على أيام السنة  
كلها .. وعلى فصولها جميعا .. فإذا حسبنا الاختلاف مع طول  
الزمن .. نجد أن ليلة القدر جاءت منذ بدء الخليقة حتى الآن مرة  
واحدة على الأقل في كل يوم من أيام السنة .. ليلة القدر تدور في

الدنيا لتشمل كل يوم فيها .. لتشمل الزمن كله .. هي بالنسبة لنا في رمضان .. ولكن بالنسبة لحساب الزمن تدور في كل يوم منه .. والذي يقول التمسوها في العشر الأواخر .. أو في وتر العشر الأواخر من رمضان .. لو أنه قال التمسوها في شيء معطوف على العشرين .. يكون الخلاف موجودا .. ولكن في العشر الأواخر من رمضان قد يكون رمضان فيها ثلاثين يوما .. وقد يكون ٢٩ يوما .. وعندما يكون رمضان ٢٩ يوما ويلتمسها في العشر الأواخر .. تكون بدأت من ٦٠ .. وبذلك تكون عشرين ، ٤٢ ، ٢٤ ، إلى آخره .. فإذا كان رمضان ثلاثين يوما .. تكون البداية ٢١ ، وبذلك تلتمسها أيام ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، وهكذا .. هنا يبرز سؤال .. من يدرينا ونحن في العشرين من رمضان إذا كان رمضان سيكون تسعة وعشرين يوما أو ثلاثين يوما ؟ من يدرينا بذلك .. طبعا نحن لا نعرف ذلك مقدما .. ومن هنا فإننا إذا كنا نلتمس العشر الأواخر من رمضان .. فيجب أن نلتمسها في كل ليلة من العشر الأواخر .. أو في وتر العشر الأواخر .. نقول له إن الشفع يسبق وتره .. والوتر يسبق شفعا باختلاف نهاية شهر رمضان .. وهل ٢٩ يوما .. أو ٣٠ يوما .. ومن هنا فإننا يجب أن نلتمسها في العشر الأواخر من رمضان .. ولا خلاف على ذلك .

نأتى بعد ذلك إلى نقطة أخرى .. وهى ترقب يوم ۲۱، ۲۳،  
 ۲۵، ۲۷ أن هذا أثر من آثار نضع الشر على الخير ... الرسول صلى  
 الله عليه وسلم خرج وقال كنت قد خرجت لأخبركم بليلة القدر ..  
 إلا أنه تلاحى (۱) فلان وفلان .. أى تشاجرا فى المسجد .. فرفعت  
 عنى .. فالتمسوها فى العشر الأواخر .. ثم بعد ذلك حدثت المشاجرة  
 التى قامت بين اثنين فى المسجد فأخفيت ليلة القدر .. فكان الله يريد  
 أن يخبرنا أن التشاجر هو ميدان الشيطان لمعارك الشر .. وأن ذلك  
 يمنع الخير .. والصفاء نفسه يستدعى الصفاء .. فعندما يجد الله  
 سبحانه وتعالى جمعا كله صفاء .. تنزل فيه ملائكة الرحمة .. لماذا ..  
 لأن الله سبحانه وتعالى يحب من خلقه الإخاء والصفاء .. فيقول الله  
 سبحانه وتعالى فيهم « والذين اهتدوا زادهم هدى » ولكن عندما  
 يريد الله أن ينزل خيرا عميما على الناس .. ثم يأتى فيجد أنهم ليسوا  
 أهلا لهذه الرحمة .. أو لهذا الخير .. أجهزة الاستقبال عندهم تالفة ..  
 حينئذ يقبض عنهم الخير .. فإذا أردنا أن نكون أهلا لعطاء الله ..  
 فيجب أن نكون دائما على الصفاء .. لنستطيع ان نستقبل عطاء  
 الله .. وبعد ذلك شاء الله رحمة منه ألا يحرمنا من الخير كله .. فأتعبنا

(۱) تلاحى : تشاجر .

۹۲

الإسلام العربى



قليلًا .. قال إنها في العشر الأواخر من رمضان .. بدلا من تحديد  
الليلة .. وفي ذلك حكمة من الله سبحانه وتعالى في أنه يريد أن يقف  
الناس في وجه الشر مهما كان هذا الشر حتى يمكنهم أن يستقبلوا  
عطاء الله ورحمته .. وفي هذه الحالة يكون التمسك بالخير هو دفاع  
الإنسان عن ذاتية نفسه مصداقا لقوله تعالى

وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً (١)

(١) الأنفال : (٢٥) .

## مناقشة الفصل الخامس

- ١ - فسر قوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » .
- ٢ - « سلام هي حتى مطلع الفجر » .  
وضح ما يتعلق بمبادئ الحياة ومعنوياتها في ليلة القدر .
- ٣ - متى تكون ليلة القدر ؟ ومتى يلتمسها المؤمن ؟ وما معنى قول المؤلف « ولكن ليلة القدر دائرة في الزمن » ؟
- ٤ - أكمل العبارات الآتية :  
(أ) لكي تعيش النفس آمنة يجب أن تتخلص من ..... ،  
..... ، .....  
(ب) كل فعل لا بد له من ..... ، ..... ، .....  
(ج) نزل القرآن في ليلة ..... في شهر .....

## فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	سلسل
٣	مقدمة	١
٥	الفصل الأول معجزة القرآن	٢
	الفصل الثاني وشهدوا للقرآن وهم كافرون	٣
٢٩		٤
٤٨	الفصل الثالث القرآن والعلم	٥
	الفصل الرابع وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	٦
٦٩		
٨٠	الفصل الخامس ليلة القدر	



مقاس الكتاب : ۱۴ X ۲۰ سم  
عدد الصفحات : ۱۰۰ صفحة  
نوعية ووزن المتن : ۷۰ جرام  
نوعية ووزن الغلاف : كوتشيہ ۱۸۰ جرام  
لون الغلاف : ۴ لون

رقم الإيداع ۲۵۲۴ / ۱۹۹۷

الترقيم الدولي ۸ - ۹۵۴۰ - ۰۶ - ۹۷۷ - I.S.B.N

۱۹۹۷ / ۴۱۸۳

مطابع الأوقفت  
بشركة الاعلانات الشرقية





- من الايمان أن تهتم بنظافة بدنك ، وملابسك ، وبيتك ومدرستك .
- الانتاج هو طريقنا الى القوة والرخاء .
- قد تؤدي البلهارسيا الى مضاعفات صحية خطيرة للأطفال  
والبالغين .
- يتم العلاج من البلهارسيا الآن بتناول جرعة واحدة من الأقراص ،  
وهي صحية وأمنة ومتاحة في كافة الوحدات الصحية بلا مقابل .
- القراءة تغذي العقل .. والرياضة تقوى الجسم .. والفنون تهذب  
الاحساس .
- التعليم حق للجميع .. فاحرص على أن تكون دائماً جديراً بهذا  
الحق .
- تلوث الطعام وتعرضه للذباب والحشرات ، يساعد على انتشار  
الأمراض .
- استعمال المرحاض الصحي والحفاظ على نظافته والابقاء عليه  
مغلقاً وغسل الأيدي ، يحد من الإصابة بالأمراض .
- الصدق أقصر الطرق الى الاقناع
- اغرس شجرة ، أو ازرع زهرة .. تجد كل ما حولك سعيداً باسماء .

- من الايمان أن تهتم بنظافة بدنك ، وملابسك ، وبيتك ومدرستك .
- الانتاج هو طريقنا الى القوة والرخاء .
- قد تؤدي البلهارسيا الى مضاعفات صحية خطيرة للأطفال والبالغين .
- يتم العلاج من البلهارسيا الآن بتناول جرعة واحدة من الأقراص ، وهي صحية وأمنة ومتاحة في كافة الوحدات الصحية بلا مقابل .
- القراءة تغذي العقل .. والرياضة تقوى الجسم .. والفنون تهذب الاحساس .
- التعليم حق للجميع .. فاحرص على أن تكون دائماً جديراً بهذا الحق .
- تلوث الطعام وتعرضه للذباب والحشرات ، يساعد على انتشار الأمراض .
- استعمال المرحاض الصحي والحفاظ على نظافته والابقاء عليه مغلقاً وغسل الأيدي ، يحد من الإصابة بالأمراض .
- الصدق أقصر الطرق الى الاقناع .
- اغرس شجرة ، أو ازرع زهرة .. تجد كل ما حولك سعيداً باسماء .